

أ.مصطفى محمود أحمد خليل

يوزع مجاناً



الطبعة الأولى

0599285837

أبو العتاهية اختصر الدنيا في ستة أبيات شعرية، جميلة جداً، فتأملوها:

نــأتي إلــى الــدنيا ونحــن سواسـية	طفــلُ الملــوكِ كطفــل الحاشــية
ونغــادر الــدنيا ونحــن كمــا تــرى	متشــابهون علــى قبــور حافيــة
أعمالنـــا تُعلـــي وتَخفــض شــأننا	وحِســابُنا بــالحق يــوم الغاشــية
حــور، وأنهــار، قصــور عاليــة	وجهــنم تُصــلى ونــارٌ حاميــة
فــاختر لنفســك مــا تُحــب وتبتغــي	مــا دام يومــك والليــالي باقيــة
وغــداً مصــيرك لا تراجــع بعــده	إمــا جنــان الخلــد وإمــا الهاويــة



فهرس المحتويات

مقدمة.. 9

الفصل الأول: الموت...11

فهرس الفصل 12

الموت فناء للإنسان 13

أشكال وأنواع الموت. 16

كره الإنسان للموت 20

ذكر الموت والاستعداد له...25

لحظة الموت بشارة للمؤمن وحسرة على الكافر والعاصي...28

من يحضر الميت من الملائكة وغيرهم وما يراه المحتضر وما يقال له وما يبشر به المؤمن وينذر به الكافر 31

سكرات الموت للمؤمن والكافر 36

تلقين الميت لا اله الا الله...40

رؤية ملك الموت 43

قبض الروح...48

تلاقي الأرواح في السماء والسؤال عن أهل الأرض 55

ما بين الموت والبرزخ (القبر)..59

الانبياء _عليهم الصلاة والسلام_ والبرزخ:..63

تكفين الرجل والمرأة وتحسين الكفن 64

الجنازة والإسراع بها..67

دفن الميت والأعمال والأقوال الواجبة للميت عند الدفن..69

الوقوف عند القبر بعد الدفن، والدعاء للميت بالتثبيت 71

أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يحتضر 72

تعزية أهل الميت 73

ما ينتفع به الميت بعد موته..74

الموت عِظاتُهُ وَعِبَرُهُ 78

الفصل الثاني: ما يحدث في القبر للمؤمن والكافر 80

فهرس الفصل...81

ما يتبع الميت إلى قبره وما يبقى معه 82

تكليم القبر 89

ضمة القبر..91

الذين تم استثناءهم من ضمة القبر: 98

سبب ضمة القبر: 100

رد الشبهة الواردة في سبب ضمة القبر لسيدنا سعد _رضي الله عنه_:........................100

دخول الملكين...103

سؤال الملكين 105

من يؤمن من فتنة القبر: 106

سؤال الملكين هل مختص بهذه الأمة أو يكون لها ولغيرها. 110

فتح باب إلى الجنة وباب إلى النار...115

الميت يعذب ببعض بكاء أهله عليه...117

ما ينجي من عذاب القبر: 119

الفصل الثالث:منكرو عذاب القبر والأدلة من القرآن والسنة على إثبات عذاب القبر ونعيمه..123

فهرس الفصل 124

منكرو عذاب القبر والرد عليهم 125

الجواب على منكري عذاب القبر:..133

العذاب الجسمي للعصاة في القبر 140

الفصل الرابع: زيارة القبور وأحوال الموتى 146

فهرس الفصل 147

كيفية الزيارة الشرعية للقبور 148

بيان حكم التمسح بالقبر وتقبيله وتمريغ الخد عليه **151**

حكم قراءة القرآن عند القبور **151**

موعظة في الموت.. **156**

ما قاله الأمراء والملوك عند نزول الموت بها. **158**

خطب على القبور لمن لا يحب الموت.. **161**

قائمة المصادر والمراجع:.. **169**

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الملك العلام ذي الجلال والإكرام، وأصلي وأسلم على خير الأنام المبعوث، الخاتم.

وأقول للكاتب القدير، صديقي العزيز مصطفى خليل: بارك الله لك في هذا المؤلف وجعله في ميزان حسناتك.

يتميز هذا المؤلف بتركيزه على الآيات القرآنية والتفاسير، وخاصة للآيات المتعلقة بالموت، والقبور، ويتيمز بالنهج المقارن المسند بالأدلة لإثبات الأفكار المختلفة.

أقول سارع يا عبد الله إلى تقديم الصالحات وملء كتاب الحسنات قبل انتهاء يوم الأختتبار، فعندها تغلق الكتب، وتظهر المنازل، فاحرص على المنزلة العليا.

أخوك: الأستاذ محمود شمروخ.

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد...،،

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

والحمد لله الذي قصم بالموت رقاب الجبابرة، وكسر به ظهور الأكاسرة، وقصر به آمال القياصرة، الذين لم تزل قلوبهم عن ذكر الموت نافرة، حتى إذا جاءهم الوعد الحق فأرداهم في الحافرة، فَنُقِلوا من القصور إلى القبور، ومن ضياء المهود إلى ظلمة اللحود، ومن ملاعبة الجواري والغلمان إلى مقاساة الديدان والهوام، ومن التنعم بالطّعام والشّراب إلى التمرُّغ في التراب، ومن أُنس العشرة إلى وحشة الوحدة، ومن المضجع المريح إلى المصرع الوبيل، فانظر هل وجدوا من الموت حصناً وعِزّاً، واتخذوا من دونه حجاباً وحرزاً، فسبحان من انفرد بالقهر والاستيلاء، واستأثر باستحقاق البقاء، وأذل أصناف الخلق بما كتب عليهم من الفناء، ثم جعل الموت مخلصاً للأتقياء، وجعل القبر سجناً للأشقياء، وحبساً ضيقاً عليهم إلى يوم الفصل والقضاء، فله الإنعام بالنعم الظاهرة، وله الانتقام بالنقم القاهرة.

فالموت ليس رحلة عاديّة، يودّع فيها المرءُ أهلهُ وذويه، فهذا قد يضعُ عصا الترحال، ويبدأ حياته من جديد، وهو ليس تجربة حرة يؤديها المرءُ في الحياة، فإن فشل فيها لجأ إلى غيرها حتى يرتاح إلى نتائجها، الموت تجربة نادرة لا تتكرر مع المرء، ورحلة إلى ما قدّرَ، وفراقٌ في غاية الألم والحرقة، وإنه وداعٌ ليس كأي وداع، يودّع المرء فيها الدنيا كلّها، بما فيها من أهلٍ وولد، وأصدقاء، وأعداء، وصحة ومرض، وعلم ومال.

وإنها لحظات أخيرة هي أقسى لحظات الحياة، وبعد قليل تصبح الدنيا كلها ذكريات، ينظر فيها المرء إلى ما حوله، وكأن عيونه الزائغة تقول: لا لُقيا على هذه الأرض بعد اليوم، ولا أدري أين نلتقي، أفي رحمة الله، أم في غضبه، لحظات مؤلمة قاسية، تأخذ بمجامع النفس، وبمعاقد أطراف الجسد، فلا ريب أن الله قد جعل لخلقه أجلاً هم بالغوه، حتى إذا جاء أجلهم توفتهم رسل الله وهم لا يفرطون.

ومن تأمل في الموت علم أنه أمر عظيم، على من أقام أو سار، يخرج به العباد من الدنيا إلى جنة أو نار، ولو لم يكن في الموت إلا الإعداد وانحلال الأجسام، ونسيان أجمل الليالي والأيام، لكان والله لأهل الذات مكدراً، ولأصحاب النعيم مغيراً، ولأرباب العقول عن الرغبة في هذه الدار زاجراً ومنفراً، كيف ويعد الموت ما بعده من الأهوال العظيمة والكرب الشنيعة، والحساب والجزاء.

ابتلى كثير من المسلمين في وقتنا هذا بعدم الرغبة في الحديث عما يواجهه العبد، عند انتهاء أيامه وساعاته في الحياة الدنيا، والتي لابد أن يعبر منها بوابة الموت، وإننا نسمع بعضهم يقول، عندما يتم تذكيره بالموت، أنهم يتمتعون الآن بنعيم الدنيا، فلا تنغص علينا متعتنا بالحديث عما وراءها من أخبار الموت وما بعده.

الفصل الأول: الموت

فهرس الفصل

- الموت فناء للإنسان
- أشكال وأنواع الموت.
- كره الإنسان للموت
- ذكر الموت والاستعداد له.
- لحظة الموت بشارة للمؤمن وحسرة على الكافر والعاصي
- من يحضر الميت من الملائكة وغيرهم وما يراه المحتضر وما يقال له وما يبشر به المؤمن وينذر به الكافر
- سكرات الموت للمؤمن والكافر
- تلقين الميت لا اله الا الله
- رؤية ملك الموت
- قبض الروح
- تلاقي الأرواح في السماء والسؤال عن أهل الأرض
- ما بين الموت والبرزخ (القبر)
- الانبياء _عليهم الصلاة والسلام_ والبرزخ:
- تكفين الرجل والمرأة وتحسين الكفن
- الجنازة والإسراع بها
- دفن الميت والأعمال والأقوال الواجبة للميت عند الدفن.
- الوقوف عند القبر بعد الدفن، والدعاء للميت بالتثبيت
- أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يحتضر
- تعزية أهل الميت
- ما ينتفع به الميت بعد موته
- الموت عظاته وعبره.

الموت فناء للإنسان

هل يعتبر الموت فناء للإنسان؟ في الحقيقة أن الله _سبحانه وتعالى لم يخلق الإنسان للفناء بل خلقه للديمومة الأبدية، وليس الموت بفناء طالما أن النفس والروح باقيتان تعودان لخالقهما:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾[1].

فليست العودة إلى الله _سبحانه وتعالى_ فناء، بل هي انتقال مرحلي من حياة إلى حياة أخرى، وهذا الفاصل بين الحياتين أخفي عنا وبقي علمه موقوفاً على الله سبحانه، وهذه الحقيقة هي أو الحقائق التي يجب أن يدركها الإنسان وهي أن الله _ سبحانه وتعالى_ لم يخلقه من أجل أن يعيش حياته الدنيا بحلوها ومرها وسعادتها وشقائها ثم يموت إلى ما لا نهاية ويطويه الزمن السرمدي، بل ليعيد نفسه ويطيبها ويزكّيها لتكون في أعلى عليين لا في أسفل سافلين، فإذا لم تتمثل هذه الحقيقة في ذهن الإنسان فقد أنقض الله سبحانه وقدره وظن العبث واللهو بالله وحاشا لله _سبحانه وتعالى_ أن يعبث وهو القائل في محكم كتابه: ﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ[2]﴾.

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾.[3] وهاتان آيتان من الله _ سبحانه وتعالى_، تؤكدان أن اللهو والعبث واللعب في خلق الإنسان والسموات والأرض منفية عنه سبحانه وتعالى، وقد أثبت تعاقب الأجيال أنه لا

[1] – سورة الفجر الآية 27 – آية 30.

[2] – سورة المؤمنون، الآية 115.

[3] – سورة الأنبياء، الآية 16 – 17.

مناص من الموت، ومهما كان أمر الإنسان لا ينفعه ولا يشفع له منصب ولا ولاية ولا مال، ولا جاه، ولا سلطان، ولا رجال، ولا يملك أحد حيال موت أي أحد، وفي هذا تحدث الله سبحانه في كتابه الكريم: ﴿فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ تَرۡجِعُونَهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ[4]﴾. وتأكيداً لهذا الأمر، وأنه لا عصمة لأحد من الموت حتى لو ملك البروج المشيدة وأقام فيها، ﴿أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ[5]﴾.

وقد أوحى الله تعالى إلى الرسول _صلى الله عليه وسلم_ أنه ميت كما مات من قبله أنبياء الله تعالى، ولم يستثن منهم أحداً، وإن أجّلَ عُمرَ أحدهم إلى حين، كما أجّلَ عمر نوح _عليه السلام_ فبلغ ألف سنة إلا خمسين عاماً، وفي ذلك قال _سبحانه وتعالى_ ﴿وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ﴾[6] .

وكانت الآية التي تليها قانوناً وسنة إلهية خالدة لا مناص منها، فقال _تعالى_ : ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾ [7]. فالموت أمر واقع لا مفر منه فهو ليس من علم الغيب بل حقيقة مرئية أمام أنظارنا نشاهدها مئات المرات في حياتنا الدنيا ونشاهدها في أقرب الناس إلينا، فالتسليم للموت أمر عقلي منطقي سليم، من أنكره وظن أنه ناج منه دون الخلق، فإن في عقله مسّاً من الجنون وعدم الأهلية الإنسانية.

---

[4] – سورة الواقعة، الآية86 – 87.

[5] – سورة النساء، الآية 78.

[6] – سورة الأنبياء، الآية 34.

[7] – سورة الأنبياء، الآية 35.

والموت في طبيعته التي عرفناها على تصورات عدة بالنسبة لخلق الله تعالى، فمنهج من يحبه ويتمناه ويستعجله، ولا يريد أن يطول مقامه في الدنيا، أملاً بالله _سبحانه_ والرجوع إليه ومحبة وطمعاً وخوفاً منه، وأولئك هم الطائعون العابدون القائمون، ومنهم من يداعبه الأمل بطول الأجل، وهم أولئك الذين يخلطون العمل الصالح بآخر سيئاً، ومنهم من رضي بالحياة الدنيا واطمأن بها فهو لا يريد سوى فتنها وشهواتها وزينتها ولا يرجو لقاء الله سبحانه، فقال _جلّ علاه_: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُون أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ[8]﴾ .

فعلى الرغم من الاكتشافات التي وصل إليها الإنسان والعلم الذي قد يصل إلى فك رموز جسد الإنسان بالكامل، وربما يتحكم به تحكماً دقيقاً، ولم يعد أمام العلم حاجز يمنع من الوصول إلى أسراره الدفينة، إلا أنه عاجز أمام حاجزين: حاجز الهرم وحاجز الموت، وأما ما دونهما فإن الله _سبحانه وتعالى_ خلق كل شيء بنظام التضاد، وكل داء له دواء عَرَفه من عرفه وجهله مَن جهله، فقد قرر رسول الله (ﷺ) أن الإنسان بجهده وعلمه وتعلمه يستطيع أن يصل إلى أعلى مستويات العلم والتقنية في جسد الإنسان، إذ أن اكتشاف الدواء يحتاج إلى دراسة الجسد دراسة مستفيضة، فإذا ما وصل الإنسان إلى دواء كل الأمراض فمعنى ذلك أنه استطاع أن يصل إلى أسرار هذا الجسد، وأما الحقيقة الثانية فهي أن الإنسان مهما أوتي من العلم وإلى أن تقوم الساعة لن يملك حيال (الموت) مخرجاً ولا دواء ولا مهربا تماما مثلما قرر رسول الله (ﷺ) في حديث آخر أن الإنسان لا يمكن له أن يعالج أو يكتشف دواء للهرم. فالهرم والموت أمران لا مناص للبشرية منهما وهذه السنة الإلهية هي

[8] – سورة يونس، الآية 7 – 8.

الإرادة الإلهية بالبشر، لأن الدنيا ليست غاية بل هي وسيلة لما أراده الله سبحانه، فالدار الآخرة هي الغاية والهدف من الوجود الإنساني والخلق الإلهي على هذه الأرض، لأن منزل البشرية الدائم هو الجنة أو النار، والدنيا دار ضيافة مؤقتة أو محطة استراحة أو كرجل استظل بظل شجرة وارتحل، هذا الموت الذي استسلم له الإنسان كحقيقة واقعة أمام عينيه، وابتعد عن الآخرة كحقيقة ليست واقعة تحت عينيه، ونتاج هذا عدم ثقته بالله سبحانه، وبأنه سيعيده إلى الآخرة مرة أخرى.

أشكال وأنواع الموت.

الموت واحد وهو خروج الروح من الجسد لأي سبب كان، سواء أمن وقوف خثرة دموية في بوابة القلب مع سلامة الجسد، أم من هرم وعجز، أم من حادث، أو مرض، انتحار، قتل، شهادة، فإذا خرجت الروح من الجسد فقد الإنسان الحياة مهما كان وضعه الجسدي، ولكن قضت حكمة الله _سبحانه وتعالى_ أن تختلف الطريقة التي يموت بها الإنسان وهي لا حصر لها، واختلاف طرق الموت هي في المؤمن كما هي في الكافر، وكما هي في العاصي هي في الطائع، فلو أن الله سبحانه وتعالى جعل طريقة الموت في المؤمنين واحدة، تشملها جميعاً الرحمة كأن قد يموتوا وهم نائمون، أو فجأة وهم جالسون دون إحساس من مرض أو ألم لا يدركون أو يشعرون بفظاعة الموت.

وجعل طريقة الموت في الكافرين شنيعة فظيعة كالحرق، والفتك، القتل، الدهس، لكان هذا من إظهار الغيب، وهذه الحال تشبه تحديد الرزق، بأن يكون مثلاً للمؤمن دون الكافر أو للكافر دون المؤمن فيؤمن الناس أو يكفرون من أجل الرزق، وكذلك فإن الإنسان قد يؤمن فقط من أجل أن يموت ميتة هنية، ولا يموت ميتة مشؤومة، لذلك جعل الله _سبحانه وتعالى_ ظاهراً ميتة السوء في

المؤمن كما هي في الكافر وكذلك جعل الميتة الهينة اللينة في المؤمن كما هي في الكافر، وقلت ظاهراً لأن هذا ما يظهر للعيون من واقع قدرتها على الرؤية.

لذلك جاءت الآية الكريمة لتوضح أن الله _سبحانه وتعالى_ هو أقرب للميت من كل أولئك الذين يقفون حوله ليعلمنا أننا لا نرى إلا ظاهر الأشياء وذلك في قوله تعالى ﴿ ونَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ[9]﴾.

فربما نرى ظاهر الموت في شخص عذاباً، وحقيقته رحمة وقد يكون ظاهر الموت في شخص آخر رحمة وهو عذاب، فقد نرى كافراً أو فاسقاً يموت على سريره، ولكن عذاب الله _ سبحانه وتعالى_ فيه أخفاه عنّا لئلا يظهر غيبه على أحد، فيقول _جلّ وعلا_: ﴿مَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٞ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثۡلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ[10]﴾.

وفي المقابل نجد الله سبحانه وتعالى يخاطب النفس المؤمنة الطاهرة حين موتها بقوله: ﴿ أَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ[11]﴾ فحتى لو كان ظاهر موت المؤمنين عذاباً أو قتلاً أو حرقاً أو غرقاً أو استشهاداً وعلى هذا فالشهيد ميت أمام أعيننا، حي بعلم الله تعالى، وهذا هو الفرق بين قدرة الإنسان على الرؤية وقدرة الله في غيبه وعلمه.

---

[9] – سورة الواقعة، الآية 85.

[10] – سورة الأنعام، الآية 93.

[11] – سورة الفجر، الآيتان 27 – 28.

كما أن هناك أحاديث شريفة أشارت إلى أنه إذا شدد الله _سبحانه وتعالى_ على المؤمن في موته فهو كفارة لذنوبه، وأنه إذا قضى الله سبحانه له بالقتل أو الحرق أو الغرق فقد أوجب له الشهادة الصغرى وليست الشهادة الكبرى، والتي لا تكون إلا في ساحة القتال، وفي سبيل الله تعالى، فإذا مات المؤمن غرقاً فهو شهيد كما دلت عليه الأحاديث الشريفة ولكنه يغسل ويكفن ويُصلى عليه ولا يكون حياً كالشهيد الذي يقتل في سبيل الله، ودليل ذلك قول الله _سبحانه وتعالى_ عن الشهداء: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ[12]﴾. ولكنه يعطى أجر الشهيد لما ناله من عذاب في موته، كالذي يموت مدافعاً عن ماله وعرضه وشرفه، والأحاديث الشريفة تؤيد هذا الكلام وتدعمه.

ومع هذا فإن رسول الله (ﷺ) دلنا من خلال الأحاديث الشريفة أن المؤمن من الممكن أن يقي نفسه ميتة السوء ظاهراً، بأعمال أوصانا بها في الدنيا ومؤداها صنائع المعروف، فعن أنس _رضي الله عنه_ قال: قال رسول الله (ﷺ): (صنائع المعروف تقي مصارع السوء، والصدقة خفياً تُطفئ غضب الرّب، وصلة الرحم زيادة في العمر، وكل معروف صدقة، وأهل المعروفِ في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، وأهل المنكر في الدنيا، هم أهل المنكر في الآخرة، وأول من يدخل الجنة أهل المعروف)[13].

وفي مقابل هذا فإن صدقة السر يبتغي بها صاحبها وجه الله _تعالى_ فإنها تطفئ غضب الله _سبحانه وتعالى_ على عبده فتقيه مصارع السوء أيضاً، فعن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب،

---

[12] – سورة آل عمران، الآية 169.

[13] – عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج4. ط2، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، حديث رقم 5041، ص206.

وعن أبي سعيد الخدري أيضاً قالوا:(صدقة السر تطفئ غَضَبَ الرَّبِّ)، أي أن التصّدق سراً يمنع عقاب الله عن المتصدق إن استحقه، لأن الحَسَنات يُذهِبنَ السيّئات[14].

ومن الشهادة (القتل) دفاعاً عن النفس والمال والعِرض والدين والأهل، فعن سعد بن زيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): (من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد)[15].

وليس الشهيد في الإسلام من قتل دون دمه وماله وأهله فحسب، بل أوجب رسول الله (ﷺ) الشهادة للمؤمن في حالات أخرى كما وردت في الحديث الشريف: (الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله: المبطون شهيد، والغريق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمطعون شهيد، وصاحب الحريق شهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجُمع شهيدة)[16].

وهكذا فالموت ليس له قاعدة لا في العمر ولا في النوع ولا في المؤمن ولا في الكافر ولا في عاصٍ، سنة الله في هذا الكون وهذا الخلق، ولن تجد لسنة الله تبديلا، إلى أن يرث الله _سبحانه وتعالى_ الأرض ومن عليها، وليست هذه السنة الإلهية بالعشوائية، إنما من علم الله المطلق في كامل خلقه، وقد بيّن الله – سبحانه وتعالى_ للناس أمره وإرادته في خلقه في كثير من الآيات الكريمة في كتابه الكريم.

---

[14] – حديث حسن، الحنبلي، عبد القادر بن بدران الدومي، شرح كتاب الشبهات في الحِكَم والمواعظ والآداب، ترجمة: القاضي صاحب الشهاب، القسم الثاني النصر المحقق، حديث رقم (355)، ص257.

[15] – السيوطي، جلال الدين بن أبي بكر، الجامع الصغير في أحاديث البشير، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004، حديث رقم 8917، ص537

[16] – السجستاني، أبي داود سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1996، حديث رقم 3111، ص396.

كره الإنسان للموت

هكذا خلق الله _ سحانه وتعالى_ الإنسان يكره الموت وأقل مراتب الكراهية أنه لا يفضله على الحياة، وفي معنى كراهية الموت يقول _سبحانه وتعالى_ في الحديث القدسي: حدثنا خالد بن مخلدٍ قال: حدثنا سليمان بن بلالٍ قال: حدثنا شريك بن عبد الله بن أبي نمرٍ عن عطاءٍ، عن أبي هريرة _رضي الله عنه_ قال: قال رسول الله (ﷺ) (إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه.... وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن وفاة المؤمن لأنه يكره الموت وأكره مساءته)[17].

ولكي يعمر الكون ويزخر بالحياة فقد غرس الله _سبحانه وتعالي_ في الإنسان حب الحياة والتمسك بها، وجعل الله _سبحانه وتعالى_ من حكمته بين يدي الإنسان ما استخلفه فيه وملَّكَهُ إياه في الدنيا من الرزق والولد، ليزداد تمسكاً بالحياة ويعمل فيها ويسعى في جنباتها استكمالاً لرزقه وسعياً من أجل ولده، وقد جعل الله سبحانه هذا السعي قهراً على الإنسان، بحثاً عن طعامه وتأمين مأوىً له يقيه حر الصيف وبرد الشتاء، ويسعى على جسده من أن يصيبه أذىً أو علة أو مرض، وفوق هذه الغيرزية جاء التوجيه النبوي الشريف أن يتمسك الإنسان بالحياة الدنيا ويسعى لها دون يأس أو حزن أو غم.

---

[17] – البخاري، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن ابراهيم الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من امور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه الشهير بصحيح البخاري، م1، جمعية البشرى الخيرية للخدمات الإنسانية والتعليمية، كتاب الرقاق، باب التواضع، 2016، حديث رقم 6502، ص2837

عن ابن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ) (إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن يغرسها فليفعل)[18].

وذلك لفضل الغرس والزرع، واستدل به بعضهم على أن الزراعة أفضل المكاسب، واختلف أفضل المكاسب، فقال النووي: أفضلها الزراعة، وقيل: أفضلها الكسب باليد، وهي الصنعة، وقيل: أفضلها التجارة، وأكثر الأحاديث تدل على أفضلية الكسب باليد، وروى الحاكم في المستدرك من حديث أبي بردة قال: (سُئِلَ رسول الله (ﷺ) أي الكسب أطيب؟

قال: عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور). وقال هذا حديث صحيح الإسناد، وقد يقال: هذا أطيب من حيث الحل، وذاك أفضل من حيث الانتفاع العام، فهو نفع متعد إلى غيره، وإذا كان كذلك فينبغي أن يختلف الحال في ذلك باختلاف حاجة الناس، فحيث كان الناس مجتاجين إلى الأقوات أكثر، كانت الزراعة أفضل للتوسعة على الناس، وحيث كانوا محتاجين إلى المتجر لانقطاع الطرق كانت التجارة أفضل، وفيه أن الثواب المترتب على أفعال البر في الآخرة يختص بالمسلم دون الكافر، لأن القرب إنما تصح من المسلم، فإن تصدق الكافر أو بنى قنطرة للمارة أو شيئاً من وجوه البر لم يكن له أجر في الآخرة، وورد في حديث آخر: أنه يطع في الدنيا بذلك، ويجازى به من دفع مكروه عنه، ولا يدخر له شيء منه في الآخرة.

وقد وردت مجموعة من الأحاديث النبوية التي تحدثت حول كره الإنسان للموت وهي على النحو الآتي[19]:

---

[18] – البخاري، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن ابراهيم الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من امور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه الشهير بصحيح البخاري، م1، جمعية البشرى الخيرية للخدمات الإنسانية والتعليمية، كتاب المزارعة، ص219.

وعن أبي هريرة _رضي الله عنه_ أن رسول الله (ﷺ) قال: (قال الله _تبارك وتعالى: إذا أحب عبدي لقائي أحببت لقاءه، وإذا كره لقائي كرهتُ لقاءه).

وعن شريح بن هانئ قال: فأتيت عائشة فقلت: يا أم المؤمنين! سمعت أبا هريرة يذكر عن رسول الله (ﷺ) حديثاً، إن كان كذلك فقد هلكنا، فقالت: إن الهالك من هلك في قول رسول الله (ﷺ)، وما ذاك؟ قال: قال رسول الله (ﷺ): (إذا أحب عبدي لقائي أحببت لقاءه، وإذا كره لقائي كرهتُ لقاءه) وليس منا أحد إلا وهو يكره الموت؟! فقالت: فقد قاله رسول الله، وليس بالذي تذهب إليه، ولكن إذا شخص البصر، وحشرج الصدر، واقشعر الجلد، وتشنجت الأصابع، فعند ذلك: (من أحب لقاء الله؛ أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله؛ كره الله لقاءه).

وعن أنس قال: قال رسول الله (ﷺ) (...........) قلنا يا رسول الله كلنا نكره الموت. قال: (ليس ذاك كراهية الموت ولكن المؤمن إذا حُضِرَ جاءهُ البشير من الله _عز وجل_ بما هو صائرٌ إليه فليس شيء أحب إليه من أن يكون قد لقي الله _عز وجل_ فأحب الله لقاءه وإن الفاجر أو الكافر إذا حُضِرَ جاءَهُ بما هو صائِرٌ إليه من الشّرِّ أو ما يلقاهُ من الشرّ فكرِهَ لقاءَ الله وكَرِهَ الله لقاءَهُ).

ومع هذا الدفاع الغريزي عن الحياة التي أوجدها الله _سبحانه وتعالى_ في الإنسان كانت المعادلة الإلهية ليس في قهر الغريزة إنما في تشذيبها وتهذيبها، لتتوسط النفس في تناول الحياة والسعي نحو الآخرة لأنها دار القرار، فإذا كان الله قد وضع في الإنسان حب الدنيا والمال والولد فقد أرشده أيضاً إلى أت الباقيات الصالحات خير عند الله وأبقى.

[19] –الألباني، أبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، صحيح الألباني، ط1، دار الخلفاء الراشدين، ودار الفتح الإسلامي للطباعة والنشر، الاسكندرية، 2022، من حديث رقم 4095 – 4097، ص853 – ص854.

قال _تعالى_: ﴿ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا[20]﴾. أي أن الطاعة والعبادة والتسبيح وذكر الله، ذلك لأن هذا هو الباقي وأن ما دونه فانٍ، وقد حققت بعض الآيات الكريمة من القرآن الكريم أعظم معادلة وتوازن للمؤمنين في الحياة الدنيا، لأن المؤمنين يعلمون حق العلم أنهم إذا عادوا إلى ربهم عادوا إليه راضين مرضيّين مطمئنين بما وعد الله وادّخره لهم في الآخرة، ولأن في أنفسهم دائماً قوله _تعالى_ ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي[21]﴾.

فهؤلاء لا يخافون من لقاءالله _سبحانه وتعالى_ ولا يكرهون لقاءه، فليس مما كسبت أيديهم ما يغضب الله ويوجب عليهم العذاب، ومفترق الطريق الآخر الذي خسر فيه الإنسان نفسه في الدنيا والآخرة بما كفر وعصى الله _سبحانه_، واطمأنّ للحياة الدنيا وفرح بها، فهؤلاء يكرهون الموت كراهية شديدة ويكرهون لقاء الله _سبحانه وتعالى_، فتخرج نفسه كارِهة خائفة مما ينتظرها من غضب الله سبحانه، وهؤلاء هم الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم، فضلّت قلوبهم وعقولهم سواء أكانوا كافرين أم مسلمين عصاة فكرهوا لقاء الله سبحانه فكره الله سبحانه لقاءهم بما قدمت أيديهم من مفاسد ومعاصي، فخابت نفوسهم لأنهم دسّوها في الآثام والفواحش والكفر بالله وآلائه ونعمه.

﴿ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا[22]﴾ فكما أن النفوس الطاهرة تعود إلى بارئها راضية مرضية فكذلك أصحابها لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة بالبشرى لا ينساهم الله من فضله.. وكذلك النفوس الفاسدة تعود كارهة نسيهم الله من فضله فلا يذكرهم بخير في الآخرة، وتعود نفوسهم خبيثة دنسة قال

[20] – سورة الكهف، آية 46.

[21] – سورة الفجر، الآيات 27 – 30.

[22] – سورة الشمس، الآية 10.

_ سبحانه وتعالى_ ﴿وذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ[23]﴾. ثم الناس إمّا منهمك فلا يذكر الموت، وإن ذكره فيذكره للتأسف على دنياه ويشتغل بمذمته، وهذا يزيد ذكر الموت من الله بعداً، وإما تائب مبتدئ فإنه يكثر من ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف والخشية فيفي بتمام التوبة وربما يكره الموت فإن هذا ليس يكره الموت ولقاء الله وإنما يخاف فوت لقاء الله لقصوره وتقصيره، وهو كالذي يتأخر عن لقاء الحبيب مشتغلاً بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه فلا يعد كارهاً للقائه، وعلامة هذا أن يكون دائم الاستعداد له لا شغل له سواء وإلا التحق بالمنهمك في الدنيا، أو عارف منته فإنه يذكر الموت دائماً، لأنه موعد لقائه لحبيبه، والمحب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب، وهذا في غالب الأمر يستبطئ مجيء الموت ويحب مجيئه، لتخلص من دار العاصين وينتقل إلى جوار رب العالمين، كما روي عن حذيفة أنه لما حضرته الوفاة قال: حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم، اللهم إن كنت تعلم أن الفقر أحب إلي من الغنى، والسقم أحب إلي من الصحة، والموت أحب إلي من العيش فسهل علي الموت حتى ألقاك[24].

وحدثنا بشر بن هلال، حدثنا عبد الوارث، عن عبد العزيز بن صهيب، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (ﷺ) (لا يدعون أحدكم بالموت لِضُرّ نزل به، ولكن ليقل: اللهم أحيِني ما كانت الحياةُ خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي)[25].

---

[23] – سورة السجدة، الآية 14.

[24] – العراقي، زين الدين أبي الفضل، إحياء علوم الدين، ط1، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2005، ص1826 – ص1827

[25] – السجستاني، أبي داود سليمان بن الأشعث، سنن أبي دواد، مرجع سابق، حديث رقم 3108، ص395.

وحدثنا محمد بن بشار، أخبرنا أبو داود، يعني الطيالسي، أخبرنا شعبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك، أن النبي (ﷺ) قال: (لا يتمنين أحدكم الموت)[26].

ذكر الموت والاستعداد له.

إن المنهمك في الدنيا المُكِبُّ على غرورها المحب لشهواتها يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت فلا يذكره، وإذا ذُكِّرَ به كرهه ونفر منه أولئك هم الذين قال الله فيهم ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ[27]﴾

حدثنا هناد حدثنا يحيى بن معين حدثنا هشام بن يوسف حدثني عبد الله بن بحير أنه سم هانئاً مولى عثمان قال: كان عثمان إذا وقف على قبر بكى حتى يبُلَّ لحيته فقيل له تذكر الجنة والنّار فلا تبكي من هذا، فقال: إن رسول الله (ﷺ) قال: إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسرُ منه وإن لم ينجُ مِنه فما بَعده أشدّ مِنه قال، وقال رسول الله (ﷺ) ما رأيت منظراً قط إلا والقبرُ أفظع منه[28].

وقال رسول الله (ﷺ): (أكثروا من ذكر هادم اللذات) ومعناه نغصوا بذكره اللذات، حتى ينقطع ركونكم إليها فتقبلوا على الله تعالى. وقال (ﷺ): (لو تعلم البهائم من الموت ما يعلم ابن آدم ما أكلتهم منها سميناً)، وقالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد؟ قال: (نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة). وإنما سبب هذه الفضيلة كلها، أن ذكر الموت

[26] – السجستاني، أبي داود سليمان بن الأشعث، سنن أبي دواد، مرجع سابق، حديث رقم 3109، ص396.

[27] – سورة الجمعة، آية 8.

[28] – حديث حسن، الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، سنن الترمذي، ج2، كتاب الزهد، حديث رقم 2478، باب5، ص594

يوجب التجافي عن دار الغرور ويتقاضى الاستعداد للآخر، والغفلة عن الموت تدعو إلى الانهماك في شهوات الدنيا. وقال (ﷺ): (تحفة المؤمن الموت)، وإنما قال هذا، لأن الدنيا سجن المؤمن، إذ لا يزال فيها عناء من مقاساة نفسه ورياضة شهواته ومدافعة شيطانه، فالموت إطلاق له من هذا العذاب، والإطلاق يسلم المسلمون من لسانه ويده ويتحقق فيه أخلاق المؤمنين ولم يتدنس من المعاصي إلا باللمم والصغائر، فالموت يطهره منها ويكفرها بعد اجتنابه الكبار وإقامته الفرائض، قال عطاء الخراسانس: مرّ رسول الله (ﷺ) بمجلس قد استعلى فيه الضحك فقال: (شُوبُوا مجلسكم بِذكرِ مُكدر اللذات). قالوا: وما مكدّر اللذات؟ قال: (الموت). وقال أنس _رضي الله تعالى عنه: قال رسول الله (ﷺ): (أكثروا من ذكر الموت فإنه يُمحص الذنوب ويزهد في الدنيا)، وقال (ﷺ): (كفى بالموتِ مُفرقاً)، وقال عليه السلام: (كفى بالموت واعظاً)، وخرج رسول الله (ﷺ) إلى المسجد فإذا قوم يتحدثون ويضحكون، فقال: (اذكروا الموت أما والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً)، وذكر عند رسول الله (ﷺ) رجل فأحسنوا الثناء عليه، فقال: (كيف ذكر صاحبكم للموت؟) قال: ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت! قال: (فإن صاحبكم ليس هنالك)، وقال ابن عمر _رضي الله عنهما_: أتيت النبي (ﷺ) عاشر عشرة فقال رجل من الأنصار: من أكيس الناس وأكرم الناس يا رسول الله؟ فقال: (أكثرهم ذِكراً للموت وأشدهم استعداداً له أولئك هم الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة)[29].

[29] – العراقي، زين الدين أبي الفضل، إحياء علوم الدين، مرجع سابق، ص1827.

عن شداد بن أوس قال: قال رسول الله (ﷺ): (الكيّس مَن دانَ نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله)، وروي عن رسول الله (ﷺ): (كفى بالموت واعظاً)، وقال _سبحانه وتعالى_:﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[30]

وعن سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير في رجال من أهل العلم اختيار النبي (ﷺ) للقاء الله بعد أن خير بين الموت والحياة فاختار الموت، فينبغي الاستنان به في ذلك، وقد ذكر بعض الشرّاح أن إبراهيم _عليه السلام_ قال لملك الموت لما أتاه ليقبض روحه: هل رأيت خليلاً يميت خليله؟ فأوحى الله _سبحانه وتعالى_ إليه قل له: هل رأيت خليلاً يكره لقاء خليله؟ فقال: يا ملك الموت الآن فاقبض. ووجدت في المبتدأ لأبي حذيفة إسحاق بن بشر البخاري أحد الضعفاء بسند له عن ابن عمر قال: (قال ملك الموت: يا رب إن عبدك إبراهيم جزع من الموت. فقال: قل له الخليل إذا قال به العهد من خليله اشتاق إليه، فبلغه فقال: نعم يا رب قد اشتقت إلى لقائك فأعطاه ريحانة فشمها فقبض فيها) [31]، وعن محمود حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة _رضي الله عنه_ قال: أُرسل ملك الموت إلى موسى عليهما السلام، فلما جاءه صكه، فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبدٍ لا يريد الموت، فرد الله عليه عينهُ وقال: ارجع فقل له يضع يده على متن ثور، فله بكل ما غطت به يده بكل شعرةٍ سنة، قال: أي رب ثم ماذا؟ قال: ثم الموت[32].

---

[30] – القرطبي، محمد بن أحمد، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، م3، ط1، مكتبة دار المناهج للنشر والتوزيع، الرياض، 2004، ص121– ص122.

[31] – العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، م4، دار طيبة، د.ت، ص703 – ص704.

[32] – العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، م4، دار طيبة، د.ت، ، ص115، حديث رقم 1339.

وعن أنس بن مالك قال: لما وَجَدَ رسول الله (ﷺ) من كَرْبِ الموتِ ما وَجَدَ، قالت فاطمة: وَأَكَرِبَ أبتاه! فقال رسول الله (ﷺ): (لا كَربَ على أبيكِ بعد اليوم، إنه قد حَضَرَ من أبيكِ ما ليسَ بتاركٍ مِنهُ أحداً. المُوافاةُ يوم القيامة)[33].

وعن أبي ذر قال قال لي رسول الله (ﷺ) (زر القبور تذكر بها الآخرة، واغسل الموتى فإن معالجة جسد خاوٍ موعظة بليغة، وصلِّ على الجنائز لعل ذلك يحزنك، فإن الحزين في ظل الله يتعرض لكل خير)[34].

فيا غافلاً ومشغولاً بما لديه عما بين يديه، يا غافلاً عن الموت وقد دنا إليه، يا ساعياً إلى ما يضره بقدميه، يا مختار المؤذي له من حالتيه، يأمن الدهر وقد رأى صرفيه، كم عاين ميتاً لو اعتبر بعينيه، إنما أغار على شبابه، أينفعه يوم الرحيل دمع يملأ خديه؟ يا من يصير عن قليل إلى حفرة، تنبه لنفسك من هذه السكرة لو أنك تذكرت لحدك، فالموت لا يفرق بين كبير وصغير أو صحيح وسقيم، فهو حتٌ لازم لا تمنع منه حصانة القلاع، ولا يحول دونه الحجاب، ولا ترده الأبواب.

لحظة الموت بشارة للمؤمن وحسرة على الكافر والعاصي

يتلقى (ملك الموت) الأمر من الله سبحانه بقبض روح فلان بن فلان في اليوم والساعة وأجزاء الثانية حسب علم الله، وملك الموت من إعلام الله سبحانه، يعلم من هو المقبوض وما درجة

[33] – الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح سنن ابن ماجة، م1، ط1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، 1997، حديث رقم 1330، ص53.

[34] – السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، جدة، 1985، ص23.

إيمانه وصلاحه أو كفره وعصيانه، فقال _سبحانه وتعالى_ ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ[35]﴾.

فهي لحظة حاسمة في حياة الإنسان بعد أن انتهى زمن تكليفه فهو إمّا أن يفلح وإلى الأبد وإما أن يخيب وإلى الأبد، ولحظة الموت من أعسر لحظات حياة الإنسان الأخيرة بعد أن تركه الله سبحانه وعلى مدى سبعين أو ثمانين سنة أو أكثر أو أقل يفعل ما يشاء والآن جاء دور الحساب، وأما المؤمن فالموت بشارة عظيمة له كما يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ[36]﴾.

فالملائكة تتنزل بأمر الله _سبحانه وتعالى_ لتبشر المؤمن في لحظة النزع والموت، بعد أن يفقد الذي يُحتضر القدرة على الكلام، ويكشف الله سبحانه عنه بعض الحجاب، فيريه من آياته وهم الملائكة الذين أرسلهم ليبشروه، وكذلك فإن الملائكة تتنزل على المؤمنين من أهل الاستقامة في قبورهم وبعثهم وحشرهم، وفي جميع مراحل عالم البرزخ حتى يلقوا ربهم يوم القيام.

وأما الكافر والفاسق والعاصي وكل من أتى الله _سبحانه وتعالى_ على غير دين الإسلام، فإن لحظة موتهم لحظة العذاب والإهانة والضرب، وهنا علم الله وقدرته، ينال الكافر والعاصي هذا العذاب في لحظة الموت دون أن يرى أقرب المقربين إليه شيئاً أو يشعر أو يدرك هذا العذاب، وهذه الإهانة غير مرئية لأنها من غيب الله الذي أخفاه عنا ولو أظهره لنا لآمن الناس لأنهم رأوا ما لم يعد

---

[35] – سورة السجدة، آية 11.

[36] – سورة فصلت، الآيات 30 – 32.

غيباً، ولا فضل لهم يومئذٍ بإيمانهم لأنهم آمنوا لما رأوا العذاب، والفضل كل الفضل لمن آمن بقدرة الله وغيبه الذي يوصله إليه عقله بما أودع الله _سبحانه وتعالى_ من آيات في هذا الإنسان وفي هذا الكون العظيم، فيقول الله سبحانه وتعالى عن لحظة موت هؤلاء الفاسقين الظالمين: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ[37]﴾

ويقول _سبحانه وتعالى_ أيضاً عن هذا الموقف العصيب للكافرين في لحظة الموت: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ [38]﴾ وهؤلاء أيضاً يكشف الله سبحانه عنهم بعض الحجاب، ليسمعوا ويروا الملائكة الذين يضربونهم ويسمعونهم الكلام الشديد المهين، ليذوقوا في هذه اللحظات عذاباً وألماً ورعباً، وخاصة من رؤيتهم ملائكة العذاب الغلاظ الشداد الذين لا يعصون الله سبحانه ما أمرهم، فتزدحم عليهم الكربات وتغمرهم الشدائد، ويتمنون لو تنشق الأرض فتبلعهم إلى غير رجعة ودون قرار، وتبدأ حسرات الكفار والعصاة من لحظة الموت عَبْر حسراتهم وعض أناملهم إلى يوم القيامة، فيسألون العودة إلى الدار الدنيا ليعملوا فيها صالحاً كما أمر الله _سبحانه وتعالى_ فقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ (99) لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ[39]﴾.

لذلك حذرنا الله _سبحانه وتعالى_ في كثير من آياته الكريمة لحظة الموت لأنه لا يمكن لأحد أن يعود إلى الدنيا مرة أخرى وهذا من غيب الله أيضاً، لذلك نسأل الله _عز وجل_ في كثير

[37] – سورة الأنفال، الآية 50.

[38] – سورة الأنعام، الآية 93.

[39] – سورة المؤمنون، الآيات 99 – 100.

من دعائنا الصلاح والتقوى والعمل الصالح والإنفاق وأداء الفرائض والإكثار من الصدقات والنوافل لنلقاه وهو راضٍ عنا، تتلقانا الملائكة بالبشرى، ولا تكون حياتنا علينا حسرة فيقول _عزّ وجلّ_ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ[40]﴾. فالإنفاق في سبيل الله _سبحانه وتعالى_ له أثر عظيم، يظهر ذلك الأثر من لحظة الموت وفي عالم البرزخ ويوم القيامة

من يحضر الميت من الملائكة وغيرهم وما يراه المحتضر وما يقال له وما يبشر به المؤمن وينذر به الكافر

أخرج أحمد وابن أبي شيبة في المصنف والطيالسي وعبد الله في مسنديهما، وهناد بن السرى في الزهد، وأبو داود في سننه والحاكم في المستدرك، وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي في كتاب عذاب القبر، وغيرهم من طرق صحيحه، عن البراء بن عازب قال: خرجنا مع رسول الله (ﷺ) في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر، ولما يلحد، فجلس رسول الله (ﷺ) وجلسنا حوله، وكأن على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكت به في الأرض، فرفع رأسه فقال: "استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثاً، ثم قال: إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس معهم أكفان من الجنة، وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس المطمئنة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من السقاء، وإن

[40] – سورة المنافقون، الآيات 9 – 11.

كنتم ترون غير ذلك، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط، فيخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الطيب فيقولون فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيفتح لهم، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة، فيقول الله تعالى: اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلفتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى، فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان، فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول رب الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام. فيقولان له: ما هو الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله. فيقولان له: وما علمك؟ فيقول قرأت كتاب الله، فآمنت به وصدقت، فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي، فافرشوا له من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره، ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الرائحة، فيقول: أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت، فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة، رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي.

قال: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة أخرجي إلى سخط من الله، وغضب فتتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى

يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الخبيث، فيقولون فلان ابن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى تنتهي بها إلى السماء الدنيا، فيستفتح، فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله (ﷺ) لا تفتح لهم أبواب السماء فيقول الله عز وجل اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى فتطرح روحه طرحاً ثم قرأ سول الله (ﷺ): ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ[41]﴾ فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان، فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول هاه هاه لا أدي، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدي، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدي، فينادي مناد من السماء أن كذب عبدي، فافرشوا له من النار، وألبسوه من النار، وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح فيقول: أبشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول رب لا تقم الساعة) [42].

وأخرج أبو يعلي في مسنده، وابن أبي الدنيا من طريق يزيد الرقاشي، عن أنس، عن تميم الداري، عن النبي (ﷺ) قال: (يقول الله لملك الموت انطلق إلى ولي فأتني به، فإني قد جربته بالسراء والضراء، فوجدته حيث أحب فأتني به لأريحه من هموم الدنيا وغمومهافينطلق إليه ملك الموت، ومعه خمسمائة من الملائكة .... ومعهم ضبائر الريحان أصل الريحانه واحد، وفي رأسها عشرون لوناً لكل لون منها ريح سوى ريح صاحبه ومعهم الحرير الأبيض فيه المسك الأذفر، فيجلس ملك الموت عند رأسه وتحتوشه الملائكة، ويضع كل ملك منهم يده على عضو من أعضائه، ويبسط

[41] – سورة الحج، آية 31.

[42] – السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، مرجع سابق، ص56.

ذلك الحرير الأبيض والمسك الأذفر تحت ذقنه، ويفتح له باب إلى الجنة قال: فإن نفسه لتعلل عند ذلك بطرف الجنة مرة بأزواجها، ومرة بكسوتها ومرة بثمارها، كما يعلل الصبي أهله إذا بكى، وإن أزواجه ليبتشهن عند ذلك ابتهاشاً قال: وتنزو الروح نزواً ويقول ملك الموت أخرجي أيتها الروح الطيبة إلى سدر مخضوض وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب، ولملك الموت أشد تلطفاً به من الوالدة بولدها يعرف أن ذلك الروح حبيب إلى ربه، كريم على الله، فهو يلتمس بلطفه بتلك الروح رضا الله عنه، فتسل روحه كما تسل الشعر من العجين، وإن روحه لتخرج والملائكة حوله ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ[43]﴾ قال : ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ[44]﴾ راحة من جهد الموت، وريحان يتلقى به عند خروج نفسه، وجنة نعيم أمامه أو قال مقابله، فإذا قبض ملك الموت روحه يقول الروح للجسد جزاك الله عني خيراً لقد كنت بي سريعاً إلى طاعة الله تعالى، بطيئاً بي عن معصيته، فهنيئاً لك اليوم فقد نجوت وأنجيت، ويقول الجسد للروح مثل ذلك قال: وتبكي عليه بقاع الأرض التي كان يطلع الله عليها وكل باب من السماء كان يصعد منه عمله، وينزل منه رزقه أربعين ليلة، فإذا قبضت روحه أقامت الملائكة الخمسمائة عند جسده لا يقلبه بنو آدم لشق إلا قلبته الملائكة قبلهم، وعلته بأكفان قبل أكفانهم، وحنوط قبل حنوطهم، ويقوم من باب بيته إلى باب قبره صفان من الملائكة يستقبلونه بالاستغفار، ويصيح عند ذلك إبليس صيحة يتصدع منها بعض عظام جسده، ويقول لجنوده: الويل لكم كيف خلص هذا العبد منكم؟ فيقولون: إن هذا كان معصوماً، فإذا صعد ملك الموت بروحه إلى السماء يستقبله جبريل عليه السلام في سبعين ألفاً من الملائكة كلهم يأتيه بالبشارة من ربه، فإذا

---

[43] – سورة النحل، آية 32.

[44] - سورة الواقعة، آية 88 – 89.

انتهى ملك الموت إلى العرش خرت الروح ساجدة لربها، فيقول الله لملك الموت: انطلق بروح عبدي فضعه في سدر مخضوض، وطلح منضود، وظل ممدود، وماء مسكوب، فإذا وضع في قبره جاءت الصلاة، فكانت عن يمينه، وجاء الصيام فكان عن يساره، وجاء القرآن والذكر فكانا عند رأسه، وجاء مشيه إلى الصلاة فكان عند رجليه، وجاء البصر فكان ناحية القبر، ويبعث الله عنقاً من العذاب، فيأتيه عن يمينه، فتقول الصلاة وراءك، والله ما زال دائباً عمره كله، وإنما استراح الآن حين وضع في قبره قال: فيأتيه عن يساره، فيقول الصيام مثل ذلك، فيأتيه من قبل رأسه، فيقال له مثل ذلك، فلا يأتيه العذاب من ناحية، فيلتمس هل يجد إليها مساغاً إلى وجد ولي الله قد أحرزته الطاعة، فيخرج عنه العذاب عندما يرى، ويقول: الصبر لسائر الأعمال، أما أنه لم يمنعني أن أباشره بنفسي، إلا أني نظرت ما عندكم، فإن عجزتم كنت أنا صاحبه، فأما إذا أجزأتم عنه، فأنا ذخر له عند الصراط، وذخر له عند الميزان، قال: ويبعث الله ملكين أبصارهما كالبرق الخاطف، وأصواتهما كالرعد القاصف، وأنيابهما الصياصي، وأنفاسهما كاللهب يطآن في أشعارهما بين منكبي كل واحد منهما مسيرة كذا وكذا، قد نزعت منهما الرأفة والرحمة إلا بالمؤمنين، يقال لهما منكر ونكير، في يد كل واحد منهما مطرقة؟ لو اجتمع عليها الثقلان لم يقلوها، فيقولان له: اجلس، فيستوي جالساً في قبره، فتسقط أكفانه في حقوية، فيقولان له: .... فيدفعان القبر، فيوسعانه من بين يديه، ومن خلفه وعن يمينه، وعن يساره، ومن قبل رأسه، ومن قبل رجليه، ثم يقولان له: انظر فوقك فينظر، فإذا هو مفتوح إلى الجنة، فيقولان له: هذا منزلك يا ولي الله لما أطعت الله، ....) [45].

[45] – السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، مرجع سابق، ص57.

سكرات الموت للمؤمن والكافر

هي الخطوة الثانية في قصة النهاية يلاقيها كل إنسان حين الاحتضار، والسكر حالة تعرض بين المرءِ وعقله وأكثر ما تستعمل في الشراب المسكر، ويطلق في الغضب والعشق والألم والنعاس والغشي الناشئ عن الألم وهو المراد هنا[46] كما قال _سبحانه وتعالى_: ﴿ وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ[47]﴾ لما بين سبحانه أن جميع أعمالهم محفوظة مكتوبة ذكر بعده ما ينزل بهم من الموت، والمراد بسكرة الموت: شدته وغمرته التي تغشى الإنسان، وتغلب على عقله، ومعنى بالحق: أنه عند الموت يتضح له الحق، ويظهر له صدق ما جاءت به الرسل من الإخبار بالبعث والوعد والوعيد، وقيل الحق هو الموت والحيد الميل أي ذلك الموت الذي كنت تميل عنه، وتفر منه[48]. وقال _سبحانه وتعالى_: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ[49]﴾، وقال أيضاً: ﴿فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ[50]﴾، وقال _سبحانه وتعالى_: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ[51]﴾

إنه لو لم يكن بين يدي الإنسان كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها لكان جديراً بأن يتنغص عليه عيشه ويتكدر عليه سروره ويفارقه سهوه وغفلته، وحقيقاً بأن يطول فيه فكره ويعظم له استعداده، لاسيما وهو في كل نفس بصدده.

---

[46] –العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، م14، ص705.

[47] – سورة ق، الآية 19.

[48] – الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ط4، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 2007، ص1399.

[49] – سورة الأنعام، الآية 93.

[50] – سورة الواقعة، الآية 83.

[51] – سورة القيامة، الآية 26.

كما قال بعض الحكماء: كرب بيد سواك لا تدري متى يغشاك، وقال لقمان لابنه: يا بني أمر لا تدري متى يلقاك استعد له قبل أن يفاجأك. والعجب أن الإنسان لو كان في أعظم اللذات وأطيب مجالس اللهو فانتظر أن يدخل عليه جندي فيضربه خمس خشبات لتكدرت عليه لذته وفسد عليه عيشه، وهو في كل نفس بصدد أن يدخل عليه ملك الموت بسكرات النزع، وهو عنه غافل، فما لهذا سبب إلا الجهل والغرور وشدة الآلام في سكرات الموت لا يعرفها بالحقيقة إلا من ذاقها، ومن لم يذقها فإنما يعرفها إلا بالقياس إلى الآلام التي أدركها وإما الاستدلال بأحوال الناس في النزع على شدة ما هم فيه.

فأما القياس الذي يشهد له: فهو أن كل عضو لا روح فيه فلا يحس بالآلام، فإذا كان فيه الروح فالمدرك للألم هو الروح، فمهما أصاب العضو جرح أو حريق سرى الأثر إلى الروح فبقدر ما يسري إلى الروح يتألم، والمؤلم ينفرق على اللحم والدم وسائر الأجزاء، فلا يصيب الروح إلا بعض الآلام، فإن كان في الآلام ما يباشر نفس الروح ولا يلاقي غيره فما أعظم ذلك الألم وما أشده.

أما العقل فقد غشه وشوشه، وأما اللسان فقد أبكمه، وأما الأطراف فقد ضعفها، ويود لو يستطيع الاستراحة بالأنين والصياح والاستغاذة ولكنه لا يقدر على ذلك، فإن بقيت فيه قوّة سمعت له عند نزع الروح وجذبها خواراً وغرغرة من حلقه وصدره، وقد تغير لونه واربدّ حتى كأنه ظهر منه التراب الذي هو أصل فطرته، وقد جذب منه كل عرق على حياله، فالألم منتشر في داخله وخارجه، حتى ترتفع الحدقتان إلى أعالي أجفانه، وتتقلص الشفتان، يتقلص اللسان إلى أصله[52].

[52] – الغزالي، أبي حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، ج4، دار المعرفة، بيروت، 1982، ص461 – ص462.

وعن محمد بن عبيد بن ميمون حدثنا عيسى بن يونس عن عمر بن سعيد قال: أخبرني ابن أبي مُليكة: أنّ أبا عمرو ذكوان مولى عائشة أخبره أنّ عائشة _رضي الله عنها_ كانت تقول: أن رسول الله (ﷺ) كان بين يديه ركوة أو علبة فيها ماء، يشك عمر فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بها وجهه ويقول: (لا إله إلا الله، إن للموت سكرات) ثم نَصَبَ يدهُ فجعل يقول: "في الرفيق الأعلى" حتى قبض ومالت يده. وعن صدفة أخبرنا عبدةُ عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: كان رجال من الأعراب جفاة يأتون النبي (ﷺ) فيسألونه: متى الساعة؟ فكان ينظر إلى أصغرهم فيقول:"إن يعيش هذا لا يدركه الهرم حتى تقوم عليكم ساعتكم" قال هشام يعني موتهم.

وحدثنا إسماعيل قال: حدثني مالك عن محمد بن عمرو بن حلحلة عن معبد بن كعب بن مالك عن أبي قتادة بن ربعي الأنصالي أنه كان يحدث: أن رسول الله (ﷺ) مُرَّ عليه بجنازة فقال: "مستريح ومستراح منه". قالوا يا رسول الله، ما المستريح والمستراح منه، قال: "العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله عز وجل، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبِلاد والشجر والدواب". وفي رواية القاسم بن محمد عن عائشة: "مات النبي (ﷺ) وإنه لبين حاقنتي وذاقنتي، فلا أكره شدة الموت لأحد أبداً بعد النبي (ﷺ)"[53].

ويروى أن النبي (ﷺ) دخل على مريض فقال "إني لأعلم ما يلقى ما فيه عرق إلا وهو يأل بالموت على حدته". ويروى عن مكحول عن النبي (ﷺ) أنه قال: " لو أن شعرة من شعرات الميت وقعت على أهل السموات والأرض لماتوا بإذن الله تعالى".

---

[53] – العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، م14، مرجع سابق، ص 704.

وقال عمر بن الخطاب _رضي الله عنه_ يا كعب حدثنا عن الموت فقال نعم يا أمير المؤمنين "هو كغصن كثير الشوك أدخل في جوف رجل فأخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب فأخذ ما أخذ وأبقى ما أبقى" وكان علي رضي الله عنه يحض على القتال في سبيل الله ويقول: " إن لم تقتلوا تموتوا والذي نفس محمد بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موت على فراش".

وقال شداد بن أوس: الموت أفظع هول في الدنيا والآخرة على المؤمن وهو أشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلى في القدور ولو أن الميت نشر فأخبر أهل الدنيا بألم الموت ما انتفعوا بعيش ولا التذوا بنوم، ويروى أن إبراهيم _صلوات الله عليه وسلامه_ لما مات قال الله عز وجل له "كيف وجدت الموت" قال كسفود جعل في صوف رطب ثم جذب فقال: "أما إنا قد هونا عليك".

وعن موسى _صلوات الله عليه أنه لما صارت روحه إلى الله عز وجل قال له: " يا موسى كيف وجدت الموت" قال: وجدت نفسي كشاة حية بيد القصاب تسلخ".

وذكر أبو بكر بن ابي شيبة في مسنده عن جابر رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: " تحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج فإنهم كانت فيهم أعاجيب" ثم أنشأ يحدث قال: "خرجت طائفة فأتوا مقبرة من مقابرهم فقالوا لو صلينا ركعتين ودعونا الله يخرج لنا بعض الأموات يخبرنا عن الموت، قال: ففعلوا فبينما هم كذلك إذا أطلع رجل رأسه من قبر خلاسي بين عينيه أثر السجود فقال: يا هؤلاء ما أردتم إلي فوالله لقد مت منذ مائة سنة فما سكنت عني حرارة الموت حتى الآن فادعوا الله أن يعيدني كما كنت وكأن عمرو بن العاص رضي الله عنه يقول لوددت لو أني رأيت رجلاً لبيباً حازماً قد نزل به الموت فيخبرني عن الموت فلما أنزل به الموت قيل له أبا عبد الله كنت تقول أيام

حياتك لوددت أني رأيت رجلاً لبيباً حازماً قد نزل به الموت يخبرني عن الموت وأنت ذلك الرجل اللبيب الحازم وقد نزل بك الموت فأخبرنا عنه. فقال: أجد كأن السماوات انطبقن على الأرض وأنا بينهما وكأن نفسي تخرج على ثقب إبرة[54].

ولوم لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها، لكان جديراً بأن يتنغص عليه عيشه ويتكدر عليه سروره ويفارقه سهوه وغفلته، وحقيقاً بأن يطول فيه فكره ويعظم له استعداده، لا سيما وهو في كل نفس بصدده كما قال بعض الحكماء: كرب بيد سواك لا تدري متى يغشاك.

تلقين الميت لا اله الا الله

عن أبي سعيد الخدري_رضي الله عنه_ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله فإنه ليس مسلم يقولها عند الموت إلا أنجته من النار» أخرجه مسلم وأصحاب السنن.

ولقول رسول الله (ﷺ): «من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة» أخرجه أبو داود وأحمد والحاكم.

وفي رواية: «حرمه الله على النار»، وتلقين الشهادة للمحتضر سنة مأثورة فإن قالها ختم له بالسعادة، ولا يكثر من التلقين والإلحاح عليه إن قالها أو فهم ذلك عنه إن كان لا يستطيع الكلام

54 – المليباري، زين الدين بن علي بن أحمد المعبري، الاستعداد للموت وسؤال القبر، دار ابن خلدون للنشر والتوزيع، الاسكندرية، ص22 – ص24.

والعبرة للقلب وتكون النجاة به وأما حركة اللسان وحده دون أن تكون ترجمة عما في القلب فلا فائدة فيها ولا عبرة عندها، ولا يشدد عليه في التلقين مخافة أن ينطق بكلام غير لائق، ويقرأ عنده سورة الرعد لأنها تسهل عليه خروج الروح.

وسورة يس لما روي في سنن أبي داود أن النبي (ﷺ) قال: "اقرأوا على موتاكم يس"، والحكمة في قراءتها أن أحوال القيامة والبعث مذكورة فيها فإذا قرئت عند المحتضر تجدد له ذكر الأحوال المتقدمة، وفيها البشرى بالجنة لأهل التوحيد في قوله _سبحانه وتعالى_ ﴿قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ[55]﴾، ويسن توجيه المحتضر إلى القبلة مضطجعاً على شقه الأيمن متى أمكن ذلك، وليقل من كان عنده خيرٌ فإن الملائكة يحضرون في هذه الساعة، ويمنون على ذلك.

روي عن أم سلمة أم المؤمنين _رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله (ﷺ): "إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيراً فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون" قالت: فلما مات أبو سلمة أتيت النبي (ﷺ) فقلت: يا رسول الله: إن أبا سلمة قد مات قال: "قولي: اللهم اغفر له، وأعقبني منه عقبى حسنة" فقت: فأعقبني الله من هو خير لي منه محمداً (ﷺ)[56].

وقال عثمان: إذا احتضر الميت فلقنوه "لا إله الا الله" فإنه ما من عبد يختم له بها عند موته إلا كانت زاده إلى الجنة.

[55] – سورة يس، الآية 26 – 27.

[56] – خليفة، محمد عبد الظاهر، الحياة البرزخية من الموت إلى البعث، دار الاعتصام، ص19 – ص20.

وقال عمر _رضي الله عنه_: أحضروا موتاكم وذكروهم فإنهم يرون ما لا ترون ولقنوهم: لا إله إلا الله.

وقال أبو هريرة: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: "حضر ملك الموت رجلاً يموت فنظر في قلبه فلم يجد فيه شيئاً، ففك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقاً بحنكه يقول: لا إله إلا الله، فغفر له بكلمة الإخلاص"[57].

وعن عائشة _رضي الله عنها_ قالت: قال رسول الله (ﷺ) "لقنوا هلكاكم قول لا اله الا الله".

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ) "لقنوا موتاكم لا إله الا الله، فإنه من كان آخر كَلمتِهِ لا إله إلا الله عند الموت، دخل الجنة يوماً من الدهر، وإن أصابه قبل ذلك ما أضابه".

وعن أنس _رضي الله عنه_ أن رسول الله (ﷺ) عاد رجلاً من الأنصار، فقال: "يا خال، قل لا إله إلا الله" فقال: أخالٌ أم عمٌ؟ فقال: "لا، بل خالٌ"، قال: فخيرٌ لي أن أقول: لا إله إلا الله؟ فقال النبي (ﷺ): "نعم".

وعن حسين الجعفي قال: دخلنا على الأعمش أنا وزائدة في اليوم الذي مات فيه والبيت ممتلئ من الرجال إذ دخل شيخ فقال سبحان الله ترون الرجل وما هو فيه وليس منكم أحد يلقنه؟ فقال الأعمش هكذا وأشار بالسبابة وحرك شفته[58].

---

[57] – الغزالي، أبي حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، مرجع سابق، ص465 – ص466.

[58] – الألباني، أبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، صحيح الألباني، م1، ط1، دار الخلفاء الراشدين، ودار الفتح الإسلامي، للطباعة والنشر والتوزيع، الاسكندرية، 2022، ص448 – ص449.

رؤية ملك الموت

إن علاقة الملائكة بالمؤمنين ممتدة في حياتهم وبعد مماتهم، ففي حياتهم من كتابة أعمالهم وحفظهم، والدعاء لهم، وحضور مجالس الذكر، وغيره كثير، ومن تلك العلاقة تبشيرهم عند الموت بحسن الخاتمة، وبأن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، قال تعالى في محكم تنزيله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ[59]﴾.

سبحان الله يا لها من سكينة وبشرى للمؤمنين، الذين اعتدلوا على طاعة الله عقداً وقولاً وفعلاً وداموا على ذلك. ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ هي بشرى تكون لهم من الملائكة في الآخرة، وقال وكيع وابن زيد: البشرى في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر وعند البعث، ﴿ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾. لا تخافوا الموت، ولا تحزنوا على أولادكم فإن الله خليفتكم عليهم، وقال عطاء بن أبي رباح: لا تخافوا رد ثوابكم فإنه مقبول، ولا تحزنوا على ذنوبكم فإني أغفرها لكم، وقال عكرمة ولا تخافوا أمامكم، ولا تحزنوا على ذنوبكم.

[59] – سورة فصلت، الآية 30 – 31.

وتقول الملائكة الذين تتنزل عليهم بالبشارة، نحن أولياؤكم الذين كنا معكم في الدنيا، فإذا كان يوم القيامة قالوا لا نفارقكم حتى ندخلكم الجنة، وقال السدي: أي نحن الحفظة لأعمالكم في الدنيا وأولياؤكم في الآخرة، ويجوز أن يكون هذا من قول الله تعالى، والله ولي المؤمنين ومولاهم[60].

قال _سبحانه وتعالى_ ﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ[61]﴾.

وقال الله _سبحانه وتعالى_ أيضاً: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ﴾[62] .

وقال في محكم تنزيله ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ[63]﴾.

وقال تعالى أيضاً في رؤية ملك الموت ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ۞وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلۡمُتَّقِينَ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ[64] ﴾

[60] – القرطبي، أبي عبد الله ممحمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، ج15، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1965، ص357 – ص360.

[61] – سورة السجدة، آية 11.

[62] – سورة الأنعام، الآية 61 – 62.

[63] – سورة الأنفال، الآية 50.

[64] – سورة النحل، الآية 28 – 32.

وجاء في الأحاديث أن الملائكة يأتون العبد حسب عمله، إن كان محسناً ففي أحسن هيئة وأجمل صورة وبأعظم بشارة، وإن كان مسيئاً ففي أشنع هيئة وأفظع منظر بأغلظ وعيد، ثم يسوقون الروح حتى إذا بلغت الحلقوم قبضها ملك الموت، فلا يدعونها في يده بل يضعونها في أكفان وحنوط يليق بها كما قال _سبحانه وتعالى_ ﴿فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ تَرۡجِعُونَهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ[65]﴾ .

وقال تبارك الله _سبحانه وتعالى_ ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ[66]﴾.

قال أئمة التفسير ﴿ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ﴾ أي إليهم بالضرب والنكال وأنواع العذاب حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم، ولهذا يقولون لهم ﴿ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ﴾ وذلك أن الكافر إذا احتضر بشّرَته الملائكة بالعذاب والنكال والأغلال والسلاسل والجحيم والحميم وغضب الرحمن الرحيم، فتفرق روحه في جسده وتعصى وتأبى الخروج، فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم قائلين لهم ﴿أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ﴾.

[65] – سورة الواقعة، من آية 83 – آية 96.

[66] – سورة الأنعام، الآية 93.

أي اليوم تهانون غاية الإهانة كما كنتم تكذبون على الله وتستكبرون عن اتباع آياته والانقياد لرسله، وقد أوردنا سابقاً كيفية احتضار المؤمن والكافر، ولكن وجه الدلالة من الآية السابقة أنه إذا كان يفعل به هذا وهو محتضر بين ظهراني أهله صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم وهم لا يرون شيئاً من ذلك ولا يسمعون شيئاً من ذلك التقريع والتوبيخ ولا يدرون بشيء من ذلك الضرب، غير أنهم يرون مجرد احتضاره وسياق نفسه لا يعلمون بشيء مما يقاس من الشدائد فلأن يفعل به في قبره ذلك وأعظم منه ولا يعلمه من كشف عنه أولى وأظهر، لأنهم لم يطلعوا على ما يناله بين أظهرهم فكيف وقد انتقل إلى عالم غير عالمهم ودار غير دارهم، فلابد للمخالف من أحد أمرين إما أن يقر بما أخبر الله تعالى به في المحتضر فيلزمهم ما ورد في عذاب القبر، أو يجحد هذا وهذا فيكفر بتكذيبه الله ورسوله فبشره بتأويل هذه الآية إذا صار إلى ما صار إليه المكذبون[67].

البشرى وقت الاحتضار أن المُحتضر يسمع ترحيب أناس لا يراهم من عنده وهم من حضرة الملائكة، فيقول: مرحباً، وتارة يقول: مرحباً؛ اجلس هنا، ويتكرر نزولهم عليهم، مبشرين لهم عند الاحتضار، على ما يستقبل من أمركم، فنفوا عنهم المكروه الماضي والمستقبل، فإنها قد وجبت لكم وثبتت، وكان وعد الله مفعولاً ويقولون لهم أيضاً مثبتين لهم، ويحثونهم في الدنيا على الخير، ويزينونه لهم، ويرهبونهم عن الشر، ويقبحونه في قلوبهم، ويدعون الله لهم، ويثبتونهم عند المصائب والمخاوف، وخصوصاً عند الموت وشدته، والقبر وظلمته، وفي القيامة وأهوالها[68].

---

[67] – الحكمي، حافظ بن أحمد، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، ج2، دار ابن خلدون، الاسكندرية، 2007، ص83 – ص84 .

[68] – الحكمي، حافظ بن أحمد، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، مرجع سابق، ص83 – ص84 .

قال سليمان بن داود _عليهما السلام_ لملك الموت _عليه السلام_ مالي لا أراك تعدل بين الناس، تأخذ هذا وتدع هذا؟ قال ما أنا بذلك بأعلم منك! إنما هي صحف أو كتب تلقى إلى فيها أسماء، وقال وهب بن منبه كان ملك من الملوك أراد أن يركب إلى أرض، فدعا بثياب ليلبسها فلم تعجبه، فطلب غيرها حتى لبس ما أعجبه _بعد عدة مرات_ وكذلك طلب دابة فأتى بها فلم تعجبه، حتى أتي بدواب فركب أحسنها، فجاء إبليس فنفخ في منخره نفخة فملأه كبراً. ثم سار وسارت معه الخيول وهو لا ينظر إلى الناس كبراً فجاءه رجل رث الهيئة، فسلم فلم يرد عليه السلام، فأخذ بلجام دابته فقال: أرسل اللجام فقد تعاطيت أمراً عظيماً! قال: إن لي إليك حاجة، قال اصبر حتى أنزل، قال لا الآن، فقهره على لجام دابته فقال اذكرها! قال: هو سر، فأدنى له فسار وقال: أنا ملك الموت! فتغير لون الملك واضطرب لسانه ثم قال: دعني حتى أرجع إلى أهلي وأقضي حاجتي وأودعهم، قال: لا والله لا ترى أهلك وثقلك أبداً! فقبض روحه فخرّ كأنه خشبة، ثم مضى فلقي عبداً مؤمناً في تلك الحال، فسلم عليه فرد السلام فقال: إن لي إليك حاجة أذكرها في أذنك، فقال: هات فسارّه وقال: أنا ملك الموت! فقال: أهلاً ومرحباً بمن طالت غيبته علي، فوالله ما كان في الأرض غائب أحب إلي أن ألقاه منك! فقال: ملك الموت اقض حاجتك التي خرجت لها، فقال: مالي حاجة أكبر عندي ولا أحب من لقاء الله تعالى! قال: فاختر على أي حال شئت أن أقبض روحك؟ فقال: تقدر على ذلك؟ قال نعم إني أرت بذلك، قال: فدعني حتى أتوضأ وأصلي ثم اقبض روحي وأنا ساجد، فقبض روحه وهو ساجد. وقال أبو بكر بن عبد الله المزني جمع رجل من بني إسرائيل مالاً فلما أشرف على الموت قال لبنيه أروني أصناف أموالي؟ فأتى بشيء من الخيل والإبل، والرقيق، وغيره فلما نظر إليه بكى تحسراً عليه، فرآه ملك الموت وهو يبكي فقال له: ما يبكيك؟ فوالذي خولك

ما أنا بخارج من منزلك حتى أفرّق بين روحك وبدنك! قال: فالمهلة حتى أفرّقه قال: هيهات انقطعت عنك المهلة! فهلا كان ذلك قبل حضور أجلك؟ فقبض روحه[69].

قبض الروح

من بين الملائكة الملك الموكل بقبض الأرواح وهو ملك الموت وأعوانه، قال الله _سبحانه وتعالى_ ﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ[70]﴾.

وقال أيضاً: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ[71]﴾.

وقال _سبحانه وتعالى_: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ[72]﴾.

وقال أيضاً: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ (29) ۞وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ

69 – الغزالي، أبي حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، ج4، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1982، ص467.

70 – سورة السجدة، آية 11.

71 – سورة الأنعام، آية 61 – آية 62.

72 – سورة الأنفال، آية 50.

ٱلۡمُتَّقِينَ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلۡمُتَّقِينَ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ[73]﴾.

روى الزهري ووهب بن منبه وغيرهما ما معناه: "أن الله أرسل جبرائيل _عليه السلام_ ليأتيه من تربة الأرض فأتاها ليأخذ منها، فاستعاذت بالله من ذلك فأعاذها، فأرسل ميكائيل فاستعاذت منه فأعاذها، فأرسل ملك الموت فاستعاذت منه فلم يعذها واخذ منها، فقال الرب _تبارك وتعالى_: أما استعاذت بي منك؟ قال: نعم، قال: فهلّا رحمتها كما رحمها صاحباك؟ فقال: يا رب طاعتك أوجب علي من رحمتي إياها، قال الله _عز وجل_: اذهب فأنت ملك الموت سلطتك على قبض أرواحهم، فبكى، فقال: ما يبكيك؟ فقال: يا رب إنك تخلق من هذا الخلق أنبياء، وأصفياء، ومرسلين، وإنك لم تخلق خلقاً أكره إليهم الموت، فإذا عرفوني بغضوني وشتموني، قال الله _ عز وجل_: إني سأجعل للموت عللاً وأسباباً ينسبون الموت إليها ولا يذكرونك معها، فخلق الله الأوجاع[74].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال: ربُّك يقرئك السلام.

وقوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ[75]﴾ وعن البراء بن عازب قال: يوم يلقون ملك الموت، ليس من مؤمن يقبض روحه إلا سلّم عليه[76].

[73] – سورة النحل، آية 28 – آية 32.

[74] – القرطبي، أبي عبد الله بن أحمد بن بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، م1، مكتبة دار المناهج للتشر والتوزيع، الرياض، 1425، ص265.

[75] – سورة الأحزاب، آية 44.

وعن أم سلمة قالت: دخل رسول الله (ﷺ) على أبي سلمة وقد شق بصره فأغمضه ثم قال: "إن الروح إذا قبض تبعه البصر".

وروى مسلم عن أبي هريرة _رضي الله عنه_ قال: قال رسول الله (ﷺ): "ألم تروا الإنسان إذا مات شخص بصره؟ قالوا: بلى، قال: فذلك حين يتبع بصرهُ نفسه".

وفي غير الصحيح: عن النبي (ﷺ): "إن الميت أو ما يشق بصره لرؤية المِعراج"، وهو سلم بين السماء والأرض من زمردة خضراء أسن ما رئي قط، فذلك حين يمد بصره إليه"[77].

وقال القرطبي: وفي الخبر: أنه إذا دنت منية المؤمن نزل عليه أربعة من الملائكة: ملك يجذب النفس من قدمه اليمنى وملك يجذبها من قدمه اليسرى، وملك يجذبها من يده اليمنى وملك يجذبها من يده اليسرى، والنفس تنسل انسلال القطرة من السقاء وهم يجذبونها من أطراف البنان ورؤوس الأصابع. والكافر تنسل روحه كالسفود من الصوف المبتل، فمثِّل نفسك يا مغرور وقد حلت بك السكرات، ونزل بك الأنين والغمرات، فمن قائل يقول: إن فلاناً قد أوصى، وماله قد أحصى، ومن قائل يقول: إن فلاناً ثقل لسانه، فلا يعرف جيرانه، ولا يكلم إخوانه، فكأني أنظر إليك تسمع الخطاب، ولا تقدر على رد الجواب، ثم تبكي ابنتك وهي كالأسيرة وتتضرع وتقول: حبيبي أبى من ليُتمى من بعدك؟ ومن لحاجتي؟ وأن والله تسمع الكلام ولا تقدر على رد الجواب، فخيل لنفسك يابن آدم إذا أُخِذَتَ من فراشك إلى لوح مغتسلك فغسلك الغاسل، وأُلبست الأكفان وأوحشَ منك الأهل والجيران،

[76] – السيوطي، جلال الدين، الدر المنثور فيالتفسير بالمأثور،ط1، ج12، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، 2003، ص74.

[77] – المصدر السابق، ص267.

وبكت عليك الأصحاب والإخوان، وقال الغاسل: أين زوجته تحاله، وأين اليتامى تركتكم أباكم فما ترونه من بعد هذا اليوم أبداً[78].

وعن الإمام أحمد عن البراء بن عازب _رضي الله عنه_ أن النبي (ﷺ) أن الملائكة تقول عند قبض الروح "يا أيتها النفس المطمئنة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها[79].

وأخرج ابن أبي الدنيا _رضي الله عنه_ مرفوعاً: إن المؤمن إذا حضر ورأى ما أعد الله له جعل يتهو على نفسه من الحرص على أن تخرج فهناك أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا احتضر ورأى ما أعد له جعل بتبلع نفسه كراهية أن تخرج، فهناك كره لقاء الله، وكره الله لقاءه.

وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن ابن الخزرجي عن أبيه قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول، ونظر إلى ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار فقال: "يا ملك الموت ارفق بصاحبي فإنه مؤمن، فقال ملك الموت: طب نفساً وقر عيناً واعلم أني بكل مؤمن رفيق".

وعن كعب أن ابراهيم _عليه السلام_ قال لملك الموت: "أرني الصورة التي تقبض بها المؤمن، فأراه ملك الموت من النور والبهاء والحسن، فقال: "لو لم ير المؤمن عند موته من قرة العين والكرامة إلا صورتك هذه لكانت تكفيه"

---

[78] – القرطبي، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، مرجع سابق، ص107 – ص108.

[79] –السيوطي، جلال الدين، بشرى الكئيب بلقاء الحبيب، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، 2011، ص24.

وعن الضحاك قال: إذا قبض روح العبد المؤمن عرج به إلى السماء فينطلق معه المقربون، ثم عرج به إلى الثانية، ثم إلى الثالثة، ثم إلى الرابعة، ثم إلى الخامسة، ثم إلى السادسة، ثم إلى السابعة، حتى ينتهوا به إلى سدرة المنتهى فيقولون: ربنا عبدك فلان، وهو أعلم به، فيأته صك مختوم يؤمنه من العذاب فذلك قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ كِتَٰبٞ مَّرۡقُوم يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ[80]﴾.

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (ﷺ): "إن المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة، وإدبار من الدنيا نزل ملائكة من السماء كأن وجوههم الشمس ..... فيقعدون حيث ينظر إليهم، فإذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك في السماء والأرض".

وعن أبي هريرة _رضي الله عنه_ أن النبي (ﷺ) قال: "إن المؤمن إذا قبض أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فتخرج كالطيب وأطيب من ريح المسك حتى إنه يناوله بعضهم بعضاً فيسمونه بأحسن الأسماء له حتى يأتوا به باب السماء فيقولون: ما هذه الريح التي جاءت من الأرض؟ وكلما أتوا سماء قالوا مثل ذلك حتى يأتوا به أرواح المؤمنين"[81].

وعن ابن عباس في قوله _سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا﴾[82] قال: "أرواح المؤمنين لما عاينت ملك الموت قال: اخرجي أيتها النفس المطمئنة إلى روح وريحان ورب غير غضبان، سبحت

[80] – سورة المطففين، آية 18 – 21.

[81] – السيوطي، جلال الدين، بشرى الكئيب بلقاء الحبيب، مرجع سابق، ص25 – ص27.

[82] – سورة النازعات، الآية 3.

سبح الغائص في الماء فرحاً وشوقاً إلى الجنّة ﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا[83]﴾ أي تمشي إلى كرامة الله عزّ وجل".

ولكن هناك خلاف في قبض الروح وهو هل الروح تموت أم يكون الموت للبدن وحده؟ وقد اختلف الناس في هذا، فقالت طائفة: تموت وتذوق الموت، لأنها نفس، وكل نفس ذائقة الموت.

قالوا: وقد دلّت الأدلة على أنه لا يبقى إلا الله وحده. قال الله _سبحانه وتعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ[84]﴾. وقال سبحانه وتعالى أيضاً ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ[85]﴾.

قالوا: وإذا كانت الملائكة تموت، فالنفوس البشري أولى بالموت، وقالوا: وقد قال تعالى عن أهل النار إنهم قالوا: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ [86]﴾. فالموتة الأولى هي المشهودة، وهي للبدن، والأخرى للروح. وقال آخرون: لا تموت الأرواح، فإنها خُلِقَت للبقاء، وإنما تموت الأبدان. قالوا: وقد دلّ على هذا الأحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعذابها بعد المفارقة إلى أن يَرجِعها الله في أجسادها، ولو ماتت الأرواح لا نقطع عنها النعيم والعذاب، وقد قال _سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ

[83] – سورة النازعات، الآية 4.

[84] – سورة الرحمن، الآية 26 – 27.

[85] – سورة القصص، آية 88.

[86] – سورة غافر، الآية 11.

وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ [87]﴾. هذا مع القطع بأن أرواحهم قد فارقت أجسادهم، وقد ذاقت الموت.

والصواب: أن يقال أن موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها، فإن أُريد بموتها هذا القدر، فهي ذائقة الموت، وإن أريد أنها تُعدم وتضمحلُ وتصبح عدماً محضاً، فهي لا تموت بهذا الاعتبار، بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو عذاب[88].

وأخرج ابن المبارك وابن منده عن محمد بن كعب القرظي قال: إذا استنقعت نفس العبد المؤمن، جاءه ملك الموت، فقال: السلام عليك يا ولي الله، الله يُقرئك السلام، ثم نزع بهذه الآية: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ [89]﴾. وعند خروج الروح المؤمن يحب لقاء الله والكافر أو الفاجر لا يحب لقاءه فالحي يكره الموت ويحب الحياة فطرة، ولكن يتغير هذا للمؤمن عندما تبلغ الروح الحلقوم، ويبشر برضوان الله وكرمه، فإنه في هذه اللحظات يحب لقاء الله – أي يحب الموت_ فيحب الله لقاءه، فقد أخرج البخاري عن عبادة بن الصامت _رضي الله عنه_ عن النبي (ﷺ) قال: "من أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله، كره الله لقاءه، قالت عائشة: إنا لنكره الموت، قال: ليس كذلك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بُشِّر برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله وأحبَّ الله لقاءه، وإن الكافر إذا حُضر بُشَّر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه مما أمامه، فكره لقاء الله، وكره الله لقاءه". وجاء في الحديث الذي

---

87 – سورة آل عمران، الآية 168 – 169.

88 – الجوزية، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن القيم، كتاب الروح، آثار الإمام ابن القيم الجوزية وما لحقها من أعمال، م1، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ص98.

89 – سورة النحل، آية 32.

أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة _رضي الله عنه_ قال: قال رسول الله (ﷺ): قال الله _عزّ وجل_ "إذا أحبّ عبدي لقائي ....". قال ابن الأثير في النهاية المراد بلقاء الله هنا: المصير إلى الدار الآخرة وطلب ما عند الله، وليس الغرض به الموت، لأن كلاً يكرهه، فمن ترك الدنيا وأبغضها، أحب لقاء الله، ومن آثرها وركن إليها، كره لقاء الله، لأنه إنما يصل إليه بالموت، وقول عائشة _رضي الله عنها_ والموت دون لقاء الله يبين أن الموت غير اللقاء، ولكنه معترض دون الغرض المطلوب، فيجب أن يصبر عليه ويحتمل مشاقه، حتى يصل إلى الفوز باللقاء[90].

تلاقي الأرواح في السماء والسؤال عن أهل الأرض

شواهد هذه المسألة وأدلتها أكثر من أن يحصيها إلا الله تعالى. والواقع من أعدل الشهود بها، فتلتقي أرواح الأحياء والأموات، كما تلتقي أرواح الأحياء. وقد قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ[91] .

قال أبو عبد الله بن منده: حدثنا أحمد بن محمد بن إبراهيم، حدثنا عبد الله بن الحسن الحراني، حدثنا جدّي أحمد بن أبي شعيب، حدثنا موسى بن أعين، عن مطرِّف، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في هذه الآية قال: بلغني أن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام، فيتساءلون بينهم، فيمسك الله أرواح الموتى، ويرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها. وقال ابن أبي حاتم في تفسيره: حدثنا عبد الله بن سليمان، حدثنا الحسين، حدثنا عامر، حدثنا

[90] – أبو أحمد، نداء، الدار الآخرة سكرات الموت ولحظة خروج الروح، ص30 – ص31.

[91] - سورة الزمر، آية 42.

أسباط، عن السدّي في قوله:﴿والتي لم تمت في منامها﴾. قال: يتوفاها في منامها، فتلتقي روح الحي وروح الميت فيتذاكران ويتعارفان، قال: فترجع روح الحي إلى جسده في الدنيا إلى بقية أجلها، وتريد روح الميت أن ترجع إلى جسده فتُحبَسُ. وهذا أحد القولين في الآية، وهو أن الممسكة من توفيت وفاة الموت أولاً، والمرسَلة من توفيت وفاة النوم. أي أنه يتوفى نفس الميت فيمسكها، ولا يرسلها إلى جسدها قبل يوم القيامة، ويتوفى نفس النائم ثم يرسلها إلى جسدها فيتوفاها الوفاة الأخرى[92]

قال ابن المبارك: عن أبي أيوب الأنصاري _رضي الله عنه_ قال: إذا قبضت نفس المؤمن تلقاه أهل الرحمة من عباد الله كما يلتقون البشر في الدنيا، فيُقبلون عليه فيسألونه، فيقول بعضهم لبعض: انظروا أخاكم حتى يستريح؛ فإنه كان في كرب شديد، قال: فيقبلون عليه فيسألونه ما فعل فلان؟ ما فعلت فلانة هل تزوجت؟ فإذا سألوه عن الرجل قد مات قبله فيقول: إنه قد هلك: فيقولون: إنا لله وإنّا إليه راجعون، ذُهِبَ به إلى أمة الهاوية فبئست الأم، وبئست المربية، قال: فتعرض عليهم أعماله، فإن رأوا حسناً فرحوا، واستبشروا، وقالوا: اللهم هذه نعمتك على عبدك فأتمها، وإن رأوا شراً قالوا: اللهم راجع بعبدك.

وقال ابن المبارك: أخبرنا عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلي الثقفي قال: أخبرني عثمان بن عبد بن أوس أن سعيد بن جبير قال له: استأذن لي على بنت أخي، وهي زوجة عثمان، وهي ابنة عمرو بن أوس، فاستأذنت له عليها، فدخل عليها ثم قال: كيف يفعل بك زوجك؟ قالت: إنه إليّ لمحسن فيما استطاع، فالتفت إليّ ثم قال: يا عثمان أحسن إليها فإنك لا تصنع بها شيئاً إلا جاء عمرو بن أوس، فقلت: وهل يأتي الأموت أخبار الأحياء؟ قال: نعم ما من أحد له حميم إلا ويأتيه

---

92 -الجوزية، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم، كتاب الروح، م1، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ص56 – ص57.

أخبار أقاربه، فإن كان خيراً سُرّ به وفرح وهنئ به، وإن كان شراً ابتأس وحزن به، حتى إنهم يسألونك عن الرجل قد مات فيقال: ألم يأتكم؟ فيقولون: لا خولف به إلى أمه الهاوية[93].

وأخرج ابن أبي الدنيا، عن أبي لبيبة قال: لما مات بشر بن البراء ابن معرور وجدت عليه أمه وجداً شديداً، يا رسول الله! لا يزال الهالك يهلك من بني سلمة، فهل تتعارف الموتى، فأرسل إلى بِشر السلام. قال: "نعم والذي نفسي بيده إنهم ليتعارفون كما يتعارف الطير في رؤوس الأشجار" وكان لا يهلك هالك من بني سلمة إلا جاءته أم بِشر، فقالت: يا فلان! عليك السلام، فيقول وعليك، فتقول: إقرأ على بِشر السلام.

وأخرج ابن ماجة، عن محمد بن المنكدر قال: دخلت على جابر ابن عبد الله، وهو يموت فقلت: أقرأ على رسول الله (ﷺ) مني السلام. وأخرج البخاري في تاريخه عن خالدة بنت عبد الله بن أيس قالت: جاءت أم البنين بنت أبي قتادة بعد موت أبيها بنصف شهر إلى عبد الله ابن أنيس وهو مريض، فقالت: يا عم إقرأ أبي السلام. وأخرج ابن أبي شيبة، عن عبد الله بن عمرو قال: الجنة مطوية معلقة بقرون الشمس تنشر في كل عام مرة، وأرواح المؤمنين في جوف طير كالزرازير يتعارفون ويرزقون من ثمر الجنة. وأخرج أحمد والحكيم الترمذي في نوادر الأصول، عن عبد الله ابن عمرو قال: قال رسول الله (ﷺ) "إن روحي المؤمنين ليلتقيان على مسيرة يوم، وما رأى أحدهما صاحبه قط"[94].

---

[93] – القرطبي، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، كتاب التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، م1، مكتبة دار المناهج للنشر والتوزيع، الرياض، 1425، ص231 – ص232.

[94] - السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، جدة، 1985، ص91.

وقال صالح المُرّيُّ: بلغني أنّ الأرواح تتلاقى عند الموت، فتقول أرواح الموتى للروح التي تخرج إليهم: كيف كان مأواك؟ وفي أي الجسدين كنتِ: في طيّبٍ أم خبيث؟ ثم بكى حتى غلبه البكاء. وقال سعيد بن المسيّب: إذا مات الرجل استقبله ولده كما يُستقبل الغائب.

وقد تقدم حديث يحيى بن بسطام: حدثني مسمع بن عاصم، قال: رأيت عاصماً الجحدري في منامي بعد موته بسنتين، فقلت: أليس قد مِتَّ؟ قال: بلى: قلت: فأين أنت؟ قال: أنا والله في روضة من رياض الجنة، أنا ونفرٌ من أصحابي، نجتمع كل ليلةِ جمعةٍ وصبيحتها إلى بكر بن عبد الله المُزني، فنتلقى أخباركم. قال: قلت: أجسامكم أم أرواحكم؟ قال: هيهات! بليت الأجسام، وإنما تتلاقى الأرواح[95].

وعن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن منصور بن أبي منصور أنه سأل عبدالله بن عمرو بن العاص عن أرواح المؤمنين إذا ماتوا، أين هي؟ قال: هي صور طير بيض في ظل العرش، وأرواح الكافرين في الأرض السابعة، فإذا مات المؤمن مُرَّ به على المؤمنين، وهم أندية، فيسألونه عن بعض أصحابهم، فإن قال: مات، قالوا: سُفل به، وإذا كان كافراً هُوِيَ به إلى الأرض السافلة، فيسألونه عن الأرض، فإن قال: مات، قالوا: عُلِيَ بهِ.

وعن السريّ بن إسماعيل قال: سمعت الشعبي ذكر ابنه، فقال: رحمه الله تعالى، يقال: إن كان اللقاء لقريباً، ثم حدثنا أن الميت إذا وضع في لحده أتاه أهله وولده، فيسألوه: عمن خلف بعده، وكيف فلان؟ وما فعل فلان؟

---

[95] - الجوزية، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم، كتاب الروح، مرجع سابق، ص53.

حدثني محمد بن الحسين، حدثني أحمد بن إسحاق، قال: سمعت صالحاً المريّ يقول: بلغني أن الأرواح تتلاقى عند الموت، .... [96].

حدثني محمد بن الحسين، حدقني يحيى بن إسحاق، أخبرني عبد الله بن المبارك، عن ثور بن يزيد عن أبي رهم عن أبي أيوب قال: تعرض أعمالكم على الموتى، فإن رأوا حسناً، فرحوا واستبشروا، وقالوا: اللهم هذه نعمتك على عبادك، فأتمم نعمتك، وإن رأوا سوءاً، قالوا: اللهم راجع به[97].

ما بين الموت والبرزخ (القبر)

تعددت الآراء حول عالم البرزخ من كثير من العلماء والفقهاء والمفسرين القدامى والمحدثين، والسبب الرئيس لهذا التعدد هو كثرة الأحاديث الشريفة حول هذا العالم المجهول لدينا، وهذه الأحاديث الشريفة منها المسند الصحيح ومنها الحسن ومنها الضعيف، حسب تصنيف علماء الحديث الشريف، لذا نجد بعض الاختلاف حول هذا العالم البرزخي المجهول من حيث تناوله من قبل الباحثين والكتّاب، إضافة إلى العلم المحدود والبسيط عن هذا العالم البرزخي، فالمعاينة شيء، والكلام شيء آخر وليس الخبر كالعيان، وكذلك فإن عالم البرزخ على كثرة الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي تناولت هذا العالم البرزخي، فإنه في النهاية عالم خارج عن حدود مداركنا وعقولنا وتصوراتنا، وفي كلا الغيبين غيب الجنة وغيب عالم البرزخ رحمة عظمى من الله سبحانه لبنى البشر على هذه الأرض.

---

[96] - البغدادي، ابن أبي الدنيا، أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد، ذكر الموت، ط1، مكتبة الفرقان، عجمان، 2002، ص150 – ص151 .

[97] - البغدادي، ابن أبي الدنيا، أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد، ذكر الموت، مرجع سابق، ص153.

وعالم البرزخ واقع لا محالة، ولا شك في هذا مطلقاً، ودليله القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، ولا دليل قطعي سواهما مع موافقة العقل لهذا العذاب أو النعيم، لأنه لا يتنافى مع معطيات العقل الإنساني.

قال _سبحانه وتعالى_ ﴿ وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٖ[98]﴾ فحياة الإنسان على مراحل ثلاث: الحياة الدنيا، عالم البرزخ بعد الموت، ويوم القيامة بعد البعث والنشور، والله سبحانه في الآية الكريمة تحدث عن ثلاثة من العذاب مرة في الدنيا لنفاقهم او كفرهم، ومرة في البرزخ بعد موتهم، وأما عذاب الآخرة بعد الحساب فهو الذي أشار إليه الله سبحانه بقوله: ﴿ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٖ﴾. وقد استبدل ابن عباس رضي الله عنه على هذا من قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ[99]﴾ إن العذاب الأدنى هو أحد العذابين، مرة في الدنيا لعلهم بهذا العذاب أو العقوبة يرجعون إلى الله سبحانه ويؤمنون به، ومرة في عالم البرزخ جزاء بما قدمت أيديهم في الدنيا، وأما العذاب الأكبر فهو بعد الحساب يوم القيامة، وهو عذاب النار الذي أوجبه الله سبحانه للكفار والمنافقين والعاصاة.

وأما الآياتان الكريمتان في قوله تعالى: ﴿ حَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ[100]﴾ فقد جعلهما الفقهاء والعلماء أصلاً كبيراً في الاستدلال على عذاب البرزخ، فقوله تعالى: ﴿حَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ﴾ فهو

---

[98] - سورة التوبة، آية 101.

[99] - سورة السجدة، آية 21.

[100] - سورة غافر، الآية 45 – 46.

العذاب الذي نالهم عند الغرق عندما أطبق الله سبحانه عليهم البحر بعد أن عبر موسى عليه السلام وقومه، وأما قوله تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ﴾ فهذا الجزء من الآية يخص عالم البرزخ لأن النار لم تعرض عليهم في حياتهم الدنيا غدواً وعشياً.

وأما قوله _سبحانه وتعالى_: ﴿ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾، فهذا خاص بيوم القيامة بعد حسابهم وعرضهم على الله سبحانه، يأمر بهم فيدخلون نار جهنم خالدين فيها أبداً، وأما الأحاديث الشريفة الدالة على عذاب القبر فهي كثيرة.

قال الإمام ابن القيم: إنه ينبغي أن يُعلم أن عذاب القبر ونعيمه اسم لعذاب البرزخ ونعيمه وهو ما بين الدنيا والآخرة، وقال تعالى: ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[101] . وهذا البرزخ يشرف أهله فيه على الدنيا والآخرة، وسمي عذاب القبر ونعيمه، وأنه روضة أو حفرة نار، باعتبار غالب الخلق. فالمصلوب والحرق والغرق وأكيل السباع والطيور له من عذاب البرزخ ونعيمه قسطه الذي تقتضيه أعماله، وإن تنوعت أسباب النعيم والعذاب كيفياتهما، فقد ظن بعض الأوائل أنه إذا حرق جسده بالنار وصار رماداً، وذرى بعضه في البحر وبعضه في البر في يوم شديد الريح أنه ينجو من ذلك فأوصى بنيه أن يفعلوا به ذلك، فأمر الله البحر فجمع ما فيه، وأمر البر فجمع ما فيه، ثم قال: قم فإذا هو قائم بين يدي الله، فسأله ما حملك على ما فعلت؟ فقال: خشيتك يارب وأنت أعلم، فما تلافاه أن رحمه، فلم يفت عذاب البرزخ ونعيمه لهذه الأجزاء التي صارت في هذه الحال، حتى لو عُلق الميت على رؤوس الأشجار في مهب الرياح لأصاب جسده من عذاب البرزخ حظه ونصيبه، ولو دفن الرجل الصالح في أتون من النار لأصاب جسده من نعيم البرزخ وروحه نصيبه وحظه،

---

[101] -سورة المؤمنون، الآية 100.

فجعل الله النار على هذا برداً وسلاماً، والهواء على ذلك ناراً وسموماً، فعناصر العالم ومواده منقادة لربها وفاطرها وخالقها كيف يشاء، ولا يستعصي عليه منها شيء أراده، بل هي طوع مشيئته مذللة منقادة لقدرته، ومن أنكر هذا فقد جحد رب العالمين وكفر به وأنكر ربوبيته[102].

وحدثنا محمد بن بشار، حدثنا وهب بن جرير، حدثنا أبي عن أبي رجاء العُطاردي، عن سُمرة بن جُندب، قال: كان النبي (ﷺ) إذا صلى الصبح أقبل عليهم بوجهه فقال: " هل رأى أحد منكم البارحة رؤيا؟" قلنا: لا. قال: "لكني رأيتُ الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي، فأخراجني إلى أرض مقدسة، فإذا رجل جالس، ورجل قائم بيده، قال: بعض أصحابنا عن موسى: كلوب من حديد، يدخله في شِدقِهِ، حتى يبلغ قفاهُ، ثم يفعل بِشِدقِهِ الآخر مثل ذلك، ويلتئم شِدقِهِ هذا، فيعود فيصنع مثله، فقلت: ما هذا؟ قالا: انطلق.

فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجعٍ على قفاه، ورجل قائم على رأسه بفهرٍ (حجر بحجم الكف)، أو صخرةٍ، فيشدخ بها رأسه، فإذا ضربه تدهده الحجر، فانطلق إليه ليأخذه، فلا يرجع إلى هذا حتى يلتئم رأسُهُ وعاد رأسُهُ كما هو، فعاد إليه فضربه. قُلتُ: من هذا؟ قالا: انطلِق.

فانطلقا إلى ثقبٍ مثل التنور، أعلاهُ ضيق وأسفله واسع، تتوقد تحته نار، فإذا اقترب ارتفعوا حتى كادوا يخرجون، فإذا خَمَدَتْ رجعوا فيها، وفيها رجال ونساء عُراة. فقلت: ما هذا؟ قالا: انطلق.

فانطلقنا حتى أتينا على نهرٍمن دمٍ، فيه رجلٌ قائم، وعلى وسط النهر قال يزيد بن هارون ووهب بن جرير بن حازم: وعلى شطِّ النهر رجل بين يديه حجارة، فأقبل الرجل الذي في النهر، فإذا

---

102 - محمود المصري، أبو عمار، رحلة إلى الدار الآخرة، ج2، ص183.

أراد أن يخرج رماه الرجل بحجر في فيه فردَّه حيث كان، فَجَعَلَ كُلما جاءَ ليخرج رمى في فيه بحجر، فيرجع كما كان. فقلت: ما هذا؟ قالا: انطلق.

فانطلقنا حتى أتينا إلى روضة خضراء، فيها شجرة عظيمة، وفي أصلها شيخ وصبيان، وإذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها، فصعدا بي في الشجرة، فأدخلاني داراً لم أر قط أحسن وأفضل منها، فيها رجال شيوخ وشباب ونساء وصبيان، ثم أخرجاني منها فصعدا بي الشجرة فأدخلاني داراً هي أحسنُ وأفضل، فيها شيوخ وشباب. قلتُ: طوفتماني الليلة، فأخبراني عما رأيت؟ قالا: نعم، أما الذي رأيته يُشق شدقه فكذاب يُحدث بالكذبة، فتُحمل عنه حتى تبلغ الآفاق، فيصنع به إلى يوم القيامة. والذي رأيته يُشدخ رأسه فرجل علمه الله القرآن فنام عنه بالليل، ولم يعمل فيه بالنهار، يُفعل به إلى يوم القيامة. والذي رأيته في الثقب فهم الزُّناة. والذي رأيته في النهر آكلو الربا.

والشيخ الذي في أصل الشجرة إبراهيم، والصبيان حوله فأولاد الناس. والذي يوقد النار مالك خازن النار. والدارُ الأولى التي دخلتَ دار عامة المؤمنين، وأما هذه الدار فدار الشهداء. وأنا جبريل وهذا ميكائيل. فارفع رأسك، فرفعت رأسي فإذا فوقي مِثل السحاب. قالا: ذلك منزلك فقلت: دعاني أدخل منزلي، قالا: إنه بقي لك عمر لم تستكمله، فلو استكملت أتيت منزلك"[103].

الانبياء _ عليهم الصلاة والسلام_ والبرزخ:

توكيل الله تعالى ملكاً عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم لإخباره بمن يصلي عليه، بتسمية الشخص الذي صلى على الرسول (ﷺ) باسمه. قال (ﷺ): أكثروا الصلاة علي، فإن الله وكل بي

103 - البخاري، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، صحيح البخاري، م1، كتاب الجنائز، جمعية البشرى الخيرية للخدمات الإنسانية والتعليمية، حديث رقم 1386، 2016، ص740.

ملكاً عند قبري، فإذا صلى علي رجل من أمتي، قال لي ذلك الملك: يا محمد إن فلان ابن فلان صلى عليك الساعة (1).

وقال (ﷺ): "أكثروا الصلاة علي في يوم الجمعة، فإنه ليس يصلي علي أحد يوم الجمعة إلا عرضت علي صلاته".

الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء، قال (ﷺ): "إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي، إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء".

الانبياء _ عليهم الصلاة والسلام_ في القبور أحياء: قال (ﷺ) "الانبياء أحياء في قبورهم يصلون". وقال (ﷺ): "مررت ليلة أسري بي على موسى قائماً يصلي في قبره".

التقاء الرسول (ﷺ) بآدم، ويحيى وعيسى ويوسف، وإدريس، وهارون، وموسى، وإبراهيم، _عليهم الصلاة والسلام_[104].

تكفين الرجل والمرأة وتحسين الكفن

حدثنا أبو النّعمان أخبرنا أبو عوانة عن أبي بشرٍ عن سعيد بن جبير عن ابن عباس _رضي الله عنهما_ أن رجلاً وقصه بعيرهُ ونحن مع النبي (ﷺ) وهو محرم. فقال النبي (ﷺ): "اغسلوه بماءٍ وسدرٍ، وكفنوه في ثوبين، ولا تمسوه طيباً، ولا تُخمّروا رأسهُ، فإن الله يبعثه يوم القيامة ملبياً".

---

104 - العوايشة، حسين، القبر – عذاب ونيمه، سلسلة بداية السلكين لمن أراد التمسك بهذا الدينن 3، مكتبة التوعية الإسلامية، الجيزة، المكتبة الاسلامية، عمان، الأردن، 1984، ص28 – ص29.

وحدثنا مسددٌ حدثنا حمّاد بن زيدٍ عن عمرو وأيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رجلٌ واقف مع النبي (ﷺ) بعرفة فوقع عن راحلته، قال أيوب. فوقصته، وقال عمرو: فأقصعته فمات، فقال: "اغسلوه بماءٍ وسدرٍ وكفنوه في ثوبين، ولا تُحنطوه ولا تخمروا رأسه؛ فإنه يُبعث يوم القيامة" قال أيوب: يُلبي، وقال عمرو: ملبياً.

حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن هشام عن عروة عن عائشة _رضي الله عنها_ قالت: كُفنَ النبي (ﷺ) في ثلاثة أثواب سَحولٍ[105] كُرسفٍ (منسوجة من القطن) ليس فيها قميص ولا عمامة. وهناك خلاف في هذه المسألة بين الحنفية وغيرهم في الاستحباب وعدمه، والثاني عن الجمهور، وعن بعض الحنفية يستحب القميص دون العمامة. وأجاب بعض من خالف بأن قولها ليس فيها قميص ولا عمامة يحتمل نفي وجودهما جملة، ويحتمل أن يكون المراد نفي المعدود أي الثاثة خارجة عن القميص والعمامة والأول أظهر، وقال بعض الحنفية: معناه ليس فيها قميص أي جديد، وقيل ليس فيها القميص الذي غسل فيه، أو ليس فيها قميص مكفوف الأطراف[106].

كما يجب كفن الميت كما يجب غسله، والكفن أو ثمنه من مال الميت، ولو لم يخلف غيره، عن خباب _رضي الله عنه_ قال: هاجرنا مع النبي (ﷺ) نلتمس وجه الله، فوقع أجرنا على الله، فمنا من مات لم يأكل من أجره شيئاً، منهم مصعب بن عمير ومنا من أينعت له ثمرته، فهو يهدبها، قتل خباب بوم أحد، فلم نجد ما نكفنه إلا بردة إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطينا رجليه خرج رأسه، فأمرنا النبي (ﷺ) أن نغطي رأسه، وأن نجعل على رجليه من الإذخر. والدليل أن خباب لم

---

105 ـ هو الثوب الأبيض النقي ولا يكون إلا من قطن.

106 ـ العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري،ط1، م4، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 2005، ص11.

يجدوا عنده من ماله إلا بردة، قصيرة لا تكفي لجميع البدن، فغطوا رأسه وجعلوا على رجله من الإذخر. ومن أهم صفات الكفن ويستحب في الكفن ما يلي:

1. البياض: عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ﷺ) البسوا من ثيابكم البياض، فإنها من خير ثيابكم، وكفنوا فيها موتاكم".

2. كونه ثلاثة أثواب، عن عائشة _رضي الله عنها: " أن رسول الله (ﷺ) كفن في ثلاثة أثواب يمانية بيض، ......".

3. تبخيره ثلاثاً: عن جابر، قال: قال النبي (ﷺ) "إذا أجمرتم الميت، فأجمروه ثلاثاً" والأفضل أن يكفن الرجل في ثلاثة أثواب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة، هذا هو الأفضل، والمرأة تكفن في خمس قطع إزار وقميص وخمار ولفافتين، وإن كُفِّنَ الميت في لفافة واحدة ساترة جاز سواء أكان رجلاً أو امرأة، والأمر في ذلك واسع. والواجب في تكفين الميت خرقة تغطي جميع بدنه، لكن الأفضل أن يكون التكفين في ثلاث خرق بيض يوضع بعضها فوق بعض، ثم يوضع الميت عليها ثم يرد طرف العليا من جانب الميت الأيمن على صدره ثم طرفها من جانبه الأيسر، ثم يفعل باللفافة الثانية ثم الثالثة كذلك، ثم يرد طرف اللفائف من عند رأسه ورجليه ويعقدها. كما ينبغي أن يكون الكفن طائلاً سابغاً يستر جميع بدنه لحديث جابر _رضي الله عنه: أن النبي (ﷺ) خطب يوماً، فذكر رجلاً من أصحابه قبض فكفن في كفن غير طائل، وقبر ليلاً، فزجر النبي (ﷺ) أن يقبر الرجل بالليل حتى يصلى عليه، إلا أن يضطر إنسان إلى ذلك، وقال النبي (ﷺ) "إذا كفن أحدكم أخاه، فليحسن كفنه"، وقال العلماء: "والمراد بإحسان الكفن نظافته، وكثافته، وستره، وتوسطه، وليس المراد به السرف

فيه والمغالاة، ونفاسته". وتبخر الأكفان بالبخور ويذر بينها شيء من الحنوط[107] فيُجعل من الحنوط على وجه الميت ومغابنه ومواضع السجود، كما يوضع شيء من الحنوط في قطن فوق عينيه ومنخريه وشفتيه، ويوضع شيء من الحنوط في قطن بين اليتيه ويشد بخرقة، كما تُكَفَّن المرأة في خمس قطع: إزار وخمار وقميص ولفافتين، وإن كفنت كما يكفن الرجل فلا حرج في ذلك، وتُحل عقد الكفن عند وضع الميت في قبره، والمحرم لا يغطى رأسه، ويطيب، عن ابن عباس _رضي الله عنهم_ قال: بينما رجل واقف بعرفة ....قال النبي (ﷺ) "اغسلوه بماء وسدر، وكفنوه في ثوبين، ولا تحنطوه، ولا تخمروا رأسه، فإنه يبعث يوم القيامة ملبياً". وكذلك المرأة ولكن يغطى وجهها ويداها بالكفن الذي كفنت فيه، والحكمة فيه أن المحرم يبعث يوم القيامة ملبياً. أما الشهيد: فيدفن بدمه، وبثيابه، ولا يكفن، فعن أنس بن مالك: "أن شهداء أحد لم يغسلوا، ودفنوا بدمائهم ولم يصل عليهم"، ويستحب للشهيد تكفينه بثوب واحد أو أكثر، فوق ثيابه، كما فعل الرسول (ﷺ) بمصعب بن عمير وحمزة بن عبد الملطب[108].

الجنازة والإسراع بها

حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سُفيان الزهري عن سالم عن أبيه عن عامر ابن ربيعة عن النبي (ﷺ) قال: "إذا رأيتم الجنازة فقوموا حتى تُخّلِّفَكُم" قال سُفيان: قال الزهري: أخبرني سالمٌ عن أبيه قال: أخبرنا عامر بن ربيعة عن النبي (ﷺ) زاد المحَمَيديُّ"حتى تُخَلِّفَكُم أو توضع"[109].

107 - الحنوط: أخلاط من الطيب يصنع للموتى.
108 - الألباني، محمد ناصر الدين، أحكام الجنائز وبدعها، تكفين الميت، ط1، مكتبة المعارف، الرياض، 1993، ص77.
109 - ص69

وقال انس _رضي الله عنه_: أنتم مُشيِّعون. وامش بين يديها وخلفها وعن يمينها وعن شمالها. وقال غيره قريباً منها. وحدثنا عليّ بن عبد الله، حدثنا سفيان قال: "أسرعوا بالجنازة فإن تك صالحة فخيرٌ تقدمونها، وإن يكُ سوى ذلك فشرٌّ تضعونه عن رقابكم". وباب السرعة بالجنازة أي بعد أن يتم حملها، قوله: (وقال أنس: أنتم مشيعون، فامش) وأثر ذلك يتضمن التوسعة على المشيعين وعدم التزامهم جهة معينة"، وذلك لما علم من تفاوت أحوالهم في المشي، وقضية الإسراع بالجانزة أن لا يلزموا بمكان واحد ويمشون فيه لئلا يشق على بعضهم ممن يضعف في المشي عمن يقوى عليه، ومحصله أن السرعة لا تتفق غالباً إلا مع عدم التزام المشي من جهة معينة فتناسباً، والمراد بالإسراع شدة المشي وعلى ذلك حمله بعض السلف وهو قول الحنفية. قال صاحب الهداية: ويمشون بها مسرعين دون الخبب، وفي المبسوط: ليس فيه شيء مؤقت، عير أن العجلة أحب إلى أبي حنيفة، وعن الشافعي والجمهور المراد بالإسراع ما فوق سجية المشي المعتاد، ويكره الإسراع الشديد، وما عياض إلى نفي الخلاف فقال: من استحبه أراد الزيادة على المشي المعتاد، ومن كرهه أراد الإفراط فيه كالرمل، والحاصل أنه يستحب الإسراع لكن بحيث لا ينتهي إلى شدة يخاف معها حدوث مفسدة بالميت أو مشقة على الحامل أو المشيع لئلا ينافي المقصود من النظافة وإدخال المشقة على المسلم. قال القرطبي: مقصود الحديث أن لا يتباطأ بالميت عند الدفن، ولأن التباطؤ ربما أدى إلى التباهي والاختيال[110].

110 -العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، باب السرعة بالجنازة، م4، ط1، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 2005، ص77 – ص79.

دفن الميت والأعمال والأقوال الواجبة للميت عند الدفن.

إن الله سبحانه هو الذي يثبت بفضله ورحمته المؤمنين الصادقين في إيمانهم، قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ[111] ﴾. ويقصد رب العالمين (في الحياة الدنيا): أي عند الموت وعند سؤال الملكين وهذا قول الفقهاء والمفسرين وهو فزع البرزخ. أما قوله _سبحانه وتعالى_ "وفي الآخرة" أي عند الفزع الأكبر يوم القيامة يثبتهم الله سبحانه بالقول الثابت فلا يفزعهم ويحزنهم الفزع الأكبر بل يكونون في حفظ الله وأمانه ورحمته. ويقول تعالى: ﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ[112]﴾، فإذا ما انصرف المشيعون من حول القبر ومن تعزية أهل الميت حتى إن الميت ليسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا، جاءه منكر ونكير ليسألاه، وفي هذه الحال يبقى وحيداً، حتى أقرب المقربين إليه يتركه ويرحل عنه، فقريبه لا يستطيع أن يفعل أكثر مما فعل من واجبات الجنازة والدفن وقبول العزاء، ولهذه الساعة الرهيبة العصيبة يجب أن يحسب العبد حسابه، وليعلم أنه لو اجتمعت البشرية لنصرته فلن تفيده بشيء ولن يفيده إلا ما أتى به من عمل صالح كتب وسطر في صحيفته. فيقول تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍ[113]﴾

قال علماؤنا: تلقين الموتى هذه الكلمة سنة مأثورة عمل بها المسلمون، وذلك ليكون آخر كلامه لا إله إلا الله فيختم له بالسعادة، وليدخل في عموم قوله (ﷺ): " من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة"، وليعلم المحتضر، والملقن، أن الشيطان في هذه الحالة يحضر ليفسد على

---

[111] - سورة إبراهيم، الآية 27.

[112] - سورة الأنبياء، الآية 103.

[113] - سورة الأنعام، الآية 94.

المؤمن عقيدته فهي مزلقة فليحترس منها كل مؤمن، فكثيراً ما يأتي بما يغري، نعوذ بالله من سوء الخاتمة، وقد كره أهل العلم الإكثار من التلقين، فإذا قالها فدعوه لئلا يتبرم أو يتضجر، ويثقلها الشيطان عليه فيكون سبباً لسوء الخاتمة[114].

علمنا رسول الله (ﷺ) بعض الأعمال والأقوال الواجبة للميت المسلم عند الدفن، لتعود عليه بالخير والفائدة فيرحمه الله سبحانه بها. وأول ما علمنا رسول الله (ﷺ) إذا وضعنا الميت في قبره أن نقول: بسم الله وعلى سنة رسول الله.

فعن أبي سعيد الخدري _رضي الله عنه_ قال: قال رسول الله (ﷺ): "لقنوا موتاكم لا إله إلا الله"، وذكر ابن أبي الدنيا عن زيد بن أسلم قال: قال عثمان بن عفان: إذا حُضر الميت فلقنوه لا إله إلا الله، فإنه ما من عبد يختم له بها عند موته إلا كانت زاده إلى الجنة. ووعن أم سلمة _رضي الله عنها_ قالت: قال عمر بن الخطاب _رضي الله عنه_ "احضروا موتاكم وذكروهم فإنهم يرون ما لا ترون، ولقنوهم لا إله إلا الله. وكذلك أبو نعيم من حديث مكحول عن إسماعيل بن عياش عن أبي معاذ عتبة بن حميد عن مكحول عن واثلة بن الأسقع عن النبي (ﷺ): "احضروا موتاكم ولقنوهم لا إله إلا الله وبشروهم بالجنة فإن الحكيم من الرجا يتحير عند ذلك المصرع، وإن الشيطان أقرب ما يكون من ابن آدم عند ذلك المصرع، والذي نفسي بيده لمعاينة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف، والذي نفسي بيده لا تخرج نفس عبد من الدنيا حتى يتألم كل عرق منه على حياله"[115] .

114 - الجميلي، السيد، أحوال الموتى وسؤال الملكين في القبر، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ص28.

115 - القرطبي، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، كتاب التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، م1، ط1، مكتبة دار المناهج للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1425، ص177 – ص178.

الوقوف عند القبر بعد الدفن، والدعاء للميت بالتثبيت

جاء في صحيح مسلم عن ابن شماسة المهري قال: حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت الحديث، وفيه: فإذا دفنتموني فشنوا علي التراب شناً ثم أجيموا حول قبري قدر ما تنحرجزور وتقسم لحمها، حتى أستأنس بكم، وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي _عزّ وجلّ_، وفي سنن أبو داود عن عثمان بن عفان _رضي الله عنه_ قال: كان رسول الله (ﷺ) إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال: "استغفروا لأخيكم واسألوا له بالتثبيت فإنه الآن يُسأل"، وخرج أبو عبد الله الترمذي الحكيم في نوادر الأصول له عن عثمان بن عفان _رضي الله عنه_ قال: كان رسول الله (ﷺ) إذا دفن ميتاً وقف وسأل الله التثبيت، وكان يقول: ما يستقبل المؤمن من هول الآخرة إلا والقبر أفظع منه، وقال الآجري في كتاب النصيحة: يستحب الوقوف بعد الدفن قليلاً والدعاء للميت مستقبل وجهه بالثبات فيقال: اللهم هذا عبدك وأنت أعلم به منا، ولا نعلم منه إلا خيراً وقد أجلسته لتسأله، اللهم فثبته بالقول الثابت في الآخرة كما ثبته بالقول الثابت في الحياة الدنيا، اللهم ارحمه، والحقه بنبيه محمد (ﷺ) ولا تصلنا بعده ولا تحرمنا أجره. وقال أبو عبد الله الترمذي: فالوقوف على القبر وسؤال التثبيت في وقت دفنه مددٌ للميت بعد الصلاة، لأن الصلاة بجماعة المؤمنين كالعسكر له قد اجتمعوا بباب الملك يشفعون له، والوقوف على القبر لسؤال التثبيت مدد العسكر، وتلك ساعة شغل للميت، لأنه يستقبله هول المطلع، وسؤال وفتنة فتاني القبر على ما يأتي[116].

---

[116] - القرطبي، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، كتاب التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، مرجع سابق، ص333 – ص335.

أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يحتضر

حدثنا عبد الله قال: حدثنا أحمد بن أيوب قال: حدثنا إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن عروة، عن عائشة قالت: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: "ما من نبي يمرض إلا خُيِّرَ بين الدنيا والآخرة"، قالت: فلما كان في مرضِ النبيّ (ﷺ) الذي قُبِضَ فيه، أَخَذَتْهُ بُحَّة شديدة، فسمعته يقول:﴿ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ[117]﴾. فعلمت أنه قد خُيِّر. كما حدثنا عبد الله قال: قال حدثنا إسحاق بن إسماعيل قال: حدثنا محمد بن فضيل، عن مغيرة، عن أم موسى، عن علي قال: كان آخر كلامِ النّبي (ﷺ) "الصلاة الصلاة، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم".حدثنا عبد الله قال: وحدثنا خالد بن خداش قال: حدثنا أبو عوانة، عن قتادة، عن سفينة مولى أم سلمة قال: كانت عامة وصية رسول الله (ﷺ) عند موته: "الصلاة الصلا، وما ملكت أيمانكم"، حتى جعل يلجلجها في صدره وما يفيضُ بها لسانه". وحدثنا عبد الله قال: حدثنا داود بن عمرو بن زهير قال: حدثنا عيشى بن يونس قال: أخبرنا عمر بن سعيد بن أبي حسين المكي قال: حدثنا ابن أبي مليكة، أن أبا عمرو مولى عائشة أخبره، أن عائشة قالت: إن رسول الله (ﷺ) قبض في بيتي ويمي، وبين سَحري ونحري، وجمع الله بين ريقي وريقه عند الموت. دخل عليَّ أخي عبد الرحمن وأنا مسندةُ رسول الله (ﷺ) إلى صدري وبيده سواك، فجعل ينظر إليه، فعرفتُ أنه يُعجبهُ ذاك، فقت، آخُذُه لك؟ فأومأ برأسه، أي نعم. فناولته إياه، فأدخله في فيه، فاشتد عليه، فناولنيه، فقلت: أليِنُهُ لك؟ فأومأ برأسِهِ، أي نعم فلينته له، فأمرَّه. وبين يديه ركوة، أو قالت علبة، فجعل يدهل يده فيها ويمسح بها وجهه (ﷺ) ويقول: " لا

[117] - سورة النساء، آية 69.

إله إلا الله، إن للموت لسكرات"، ثم نصبَ يده يقول: "الرفيق الأعلى، الرفيق الأعلى" حتى قبض، صلوات الله عليه ومالت يده[118].

تعزية أهل الميت

أخبرنا محمد بن الحسين البرجلاني، قال: قيل لأعرابية مات ابنها: ما أحسن عزاءك! فقالت: إن فقدي إياه أمنني من المصيبة بعده.

وحدثنا محمد بن العباس بن محمد، حدثنا أبو عبد الرحمن القرشي، رجلٌ من بني ليث، قال: مات أخٌ لمالك بن دينار، يقال له: ملحان، فخرج في جنازته، وهو يقول: يا ملحان، لا تقرُّ والله عيني حتى أعلم أين صرت، ولا أعلم ذلك ما دمت حياً.

حدثني محمد بن الحسين، حدثنا الوليد بن صالح، حدثنا عطاء الحلبي، حدثنا مسلم بن ميسرة، عن وهب بن منبه، قال: فقد الرجل أخاه أعظم عليه من جميع أهله، وذلك أنّ أخاه عمره، ووزيره، ألم تسمع قول نبي الله _عليه السلام_: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي، هَٰرُونَ أَخِي، ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي، وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي[119]﴾ .

وأخبرنا أحمد بن إبراهيم بن كثير، حدثنا أبو داود، عن مبارك بن فضالة قال: شهدت الحسن في المسجد الجامع، وجاء رجلٌ من فارس، فقال: إني لم أجئ حتى مات سعيد بن أبي الحسن، فقلنا: فلا تخبره، قال: فكأنا قلنا: أخبره، قال: فما ترك الحسن يبلغُ إلى البيت حتى نعاه إليه.

---

118 - ابن أبي الدنيا، أبي بكر عبد الله بن محمد، كتاب المحتضرين، ط1، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، 1997، ص43 – ص45.

119 - سورة طه، الآيات 29 – 32.

قال: فما تمالك الحسن أن وضع يده على الحائط، قال: ودخلنا عليه وما يفيق، فجاء معنا بكر بن عبد الله المزني، فقال: يا أبا سعيد! إنك مُعَلِّم أهل هذا البلد ومؤدبهم، وإنّهم والله لا يرون منك اليوم شيئاً إلى سعوا به إلى عشائرهم، وقبائلهم، فتكلم الحسن، فقال: الحمد لله الذي جعل هذه الرحمة في قلوب المؤمنين، إنّما الجزع ما كان من اللسان واليد، الحمد لله الذي لم يجعل حزن يعقوب ذنباً أن قال: ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ[120]﴾. رحم الله سعيداً، وتجاوز عن سيئه في أصحاب الجنة، وعد الصدق الذي كانوا يوعدون، ثم قال: ما كانت لتنزل شدّة إلا أُحب أن تكون به دوني. قال أبو داود: قلت للمبارك: ما كان الحسن يرد عليهم إذا عزوه؟ قال: كان يقول: فعل الله ذلك بنا وبكم[121].

وأخبرنا داود بن عمرو الضبي، وشجاع بن الأشرس، قالا: حدثنا إسماعيل بن عياش، عن عبد الله بن دينار: أن لقمان قدم من سفر، فلقي غلاماً في الطريق، فقال: ما فعل أبي؟ قال: مات، قال: الحمد لله ملكتُ أمري، قال: ما فعلت أمي؟ قال: ماتت، قال: ذهب همي، قال: ما فعلت امرأتي؟ قال: ماتت، قال: جُدد فراشي، قال: ما فعل أخي؟ قال: مات، قال: انقطع ظهري[122].

ما ينتفع به الميت بعد موته

ما يقدمه الإنسان المؤمن من عمل متعدد الوجوه فعله بذاته في حياته الدنيا قبل الموت، لكن ومن واقع رحمة الله تعالى _سبحانه_ بالمؤمن أن جعل الخير والثواب والحسنات تلحقه أيضاً

[120] - سورة يوسف، الآية 48.

[121] -ابن أبي الدنيا، أبي بكر بن محمد بن عبيد البغدادي، ذكر الموت، مرجع سابق، ص181 – ص182.

[122] - ابن أبي الدنيا، أبي بكر بن محمد بن عبيد البغدادي، ذكر الموت، مرجع سابق، ص183 – ص185.

في برزخه من فعل وعمل غيره له، وجعلها الله _سبحانه وتعالى_ ورسوله (ﷺ) متعددة الطرق والسبل وهي[123]:

1. الدعاء والاستغفار للميت:

أ. من إخوانه المؤمنين: ودليل قبوله من الحي للميت قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ[124]﴾ فهذه الآية دليل واضح على أن استغفار الأحياء للأموات والدعاء لهم مقبول عند الله سبحانه، وفي هذا الدعاء والاستغفار من الأحياء للأموات يغفر الله سبحانه لموتى المسلمين المؤمنين، وهم في عالم برزخهم، لا يدرون ماذا حلّ عليهم من المغفرة كلما استغفر لهم المستغفرون.

ب. من الملائكة: ودليله قوله تعالى في القرآن الكريم. ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ[125]﴾، وقال تعالى: ﴿ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ[126]﴾، واستغفار الملائكة للبشر يلحق الحي والميت معاً، وقد أمر الشارع الحكيم بالصلاة على الميت والدعاء له وما ذلك إلا لأنه ينفعه ويزيد من ثوابه.

[123] - الصوفي، ماهر أحمد، الموت وعالم البرزخ، مرجع سابق، ص123 – 127.
[124] - سورة الحشر، آية 10.
[125] - سورة غافر، الآية 7.
[126] - سورة الشورى، آية 5.

2. الصدقات عن الميت:

أكدت السنة النبوية المطهرة أن ثواب وأجر الصدقات من الأحياء للأموات يصل إليهم ويسجل في صحيفة أعمالهم، فعن عائشة _رضي الله عنها_ أن رجلاً أتى النبي (ﷺ) فقال: يا رسول الله إن أمي افتلتت نفسها[127]، ولم توص وأظن أنها لو تكلمت تصدّقت أفلها أجر إن تصدّقت عنها؟ فقال (ﷺ): "نعم".

والولد الصالح سواء كان ذكراً أم أنثى يجب أن يتصدق عن والده ووالدته المتوفيين قدر استطاعته، فهذا يُرضي الله سبحانه وهذا العمل وفاء للوالدين على ما قدماه في حياتهما من أجل أولادهما، وحتى يكون الوالد شفيعاً لأولاده يوم القيامة كما تقدم في الحديث الشريف الذي رواه الطبراني.

3. الحج والعمرة:

وقد ثبت أيضاً في الحديث الشريف أن الحج والعمرة مقبولان عن الميت سواء كان الميت حاجاً أم لم يحج، وسواء كان معتمراً أم لم يعتمر، ووهب ثواب الحج والعمرة للميت لا ينقص من أجر فاعلهما وواهبهما شيئاً بفضل الله ومنّه وكرمه. ووفق ما جاء في الترمذي والنسائي وابن ماجة أن أبي رزين العقيلي _رضي الله عنه_ قال: قال رسول الله (ﷺ): "حج عن أبيك واعتمر".

4. التقوى خير زاد ينتفع به المؤمن بعد موته:

إن المؤمن يجب أن يعد العدة لهذا اليوم الذي يصبح فيه من عداد الموتى ومن أصحاب القدور فكل نفس ومهما طال بها الأمد ذائقة الموت، فما جعل الله سبحانه لأحد من خلقه

[127] ـ افتلتت نفسها: توفيت فجأة.

الخلد في هذه الحياة، وكيف يكون فيها الخلد وهي دار للامتحان والابتلاء؟ وهل دار الابتلاء والامتحان تكون خالدة؟ يقول تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ، كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ[128]﴾. وأمام هذه الحقيقة المطلقة على الإنسان المؤمن أن يتزود وخير الزاد التقوى: ودليل ذلك قوله _سبحانه وتعالى: ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ[129]﴾. وثمار التقوى العمل الصالح، والعمل الصالح رديف الإيمان، ولذلك نجد أن كثيراً من الآيات الكريمة التي تتحدث عن الإيمان تتحدث عن العمل الصالح كضرورة لصفة الإيمان. وقال تعالى أيضاً: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ[130]﴾، وقد جعل الله سبحانه تلازم صفة الإيمان والعمل الصالح من الأسباب الموجبة لدخول جنات الفردوس برحمة الله. ويقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا[131]﴾. فإذا كان مما يلحق المؤمن من العمل الصالح بعد موته الصدقة الجارية، والعلم النافع، والولد الصالح الذي يدعو له كما قال رسول الله (ﷺ)، عن أبي هريرة _رضي الله عنه_ قال: قال رسول الله (ﷺ): "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له"، وكذلك الأثر الذي يتركه العبد من إيمانه وعمله الصالح وذكراه الطيبة في أمره بالصدقة والمعروف وسعيه للإصلاح بين الناس الناس، كما قال تعالى: ﴿ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن

[128] - شورة الأنبياء، الآية 34 – 35.

[129] - سورة البقرة، آية 197.

[130] - سورة البقرة، الآية 277.

[131] - سورة الكهف، الآية 107.

نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا[132]﴾.

فإن فعل المؤمن ما أمر الله _سبحانه وتعالى_ به من صدقة ومعروف وإصلاح بين الناس جعل ألسنة الناس دائماً في ذكراه الطيبة خاصة بعد وفاته وتترجم عليه وتسأل الله سبحانه له المغفرة، وكل هذا يكون في ميزان حسناته إن شاء الله تعالى.

الموت عِظاتُهُ وَعِبَرُهُ

لابد من الموت، لأنه رجوع إلى الأصل الذي خلق منه الإنسان فكما خلقه من تراب، لابد وأن يكون تراباً لتتذكر النفوس الظالمة حاله حين ظُلمها، والمضطربة حين اضطرابها، والمفسدة حين إفسادها، أن مآلها إلى تراب.

خفف الوطء ما أظن أديم الأر ض إلا من هذه الأجساد

فربما تخشع يوماً، أو تتعظ ساعة، فينصلح حال الدنيا، ويكون هناك أهل حق وأهل باطل، وتسير في حالة لا يستقيم عندها الحق كله، ولا يؤدى بها إلى الهلاك، بل الموت بصيرة أمام البشر، يودعون واحد منهم، فيرون التراب والعظام واللحود، ولولا ذلك لما استقام بشر على طريق سوي، فالنهاية معلومة، وفي تذكرها يبدأ الإصلاح فلا يستقر حال بني البشر.

لابد من الموت، لأنه إظهار لقدرة الله، وبرهان على البعث، ودليل متيقن على الوقوف أمام الله رب العالمين، فكيف يسير العالم منذ خلق والناس يتساقطون كل يوم، بل كل لحظة؟ وكيف يحاسب أولئك جميعاً أمام رب العالمين؟ وكيف يتأكد الناس من أن ظالماً لن يعيث في الأرض الفساد طويلاً؟

[132] - سورة النساء، آية 114.

الموت دليل لهم على حياتهم الباقية التي أرادها لهم رب البرية بمقاييس معلومة، وموازين سديدة محكمة، فخالق الموت جدير وقدير على محاسبة الناس جميعاً. وهذا الظالم لن يبقى على الأرض طويلاً ما دام البشر يموتون، والمطمئن لقلوبهم أن الموت غير معلوم.

إذاً فالموت لابد منه ليتعظ الناس، وتستقر أحوالهم، فكان أقوى عظة، وأفظع خطباً، أشنع أمراً، وأمرُّ كأساً، لذا كان تذكره دائماً سبيلاً إلى الإصلاح، إصلاح النفس، والمفاسد، والإصلاح بين الناس، وإصلاح المجتمع، والجهاد في سبيل الله.

فهل ننسى أننا نؤخذ من فراشنا، ونُشَد على لوح، ونكفن بأكفان لا تحمل بين طياتها سوانا، إنها ساعة يتحير عندها العقل، يرجع إلى رشده يعمل فكره، يهيب بالناس أن يحسنوا الختام، وأن يرفعوا لا إله إلا الله محمد رسول الله (ﷺ).

وها نحن أولاء في دار الدنيا، فهلا نجتمع جيمعاً ولا نفترق، ونتحاب ولا نتخاصم، ما دام هذا مصيرنا؟ الموت يعمنا، والقبر يضمنا، والقيامة تجمعنا، والله يحكم بيينا، ويفصل فينا وهو أحكم الحاكمين.

الفصل الثاني: ما يحدث في القبر للمؤمن والكافر

فهرس الفصل

- ما يتبع الميت إلى قبره وما يبقى معه
- تكليم القبر
- ضمة القبر
- دخول الملكين
- سؤال الملكين
- الميت يعذب ببعض بكاء أهله عليه
- فتح باب إلى الجنة وباب إلى النار
- دخول الجليس

ما يتبع الميت إلى قبره وما يبقى معه

حدثنا الحميدي قال:حدثنا سفيان قال: حدثنا عبدُ الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم: سمع أنس بن مالك _رضي الله عنه_ يقول: قال رسول الله (ﷺ): "يتبع الميت ثلاثة، فيرجع اثنان ويبقى معه واحد، يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله، وماله، ويبقى عمله"[133].

حدثنا عبد الله بن جعفر قال حدثنا إسماعيل بن عبد الله قال حدثنا أبو نعيم عبد الرحمن بن هانئ النخعي قال، حدثنا محمد بن عبيد الله العرزمي عن قتادة عن أنس بن مالك _رضي الله عنه_ قال: قال رسول الله (ﷺ) "سبع يجري أجرها للعبد بعد موته وهو في قبره: من علّمَ علماً، أو أجرى نهراً، أو حفر بئراً، أو غرس نخلاً، أو بنى مسجداً، أو ورّث مصحفاً، أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته"[134].

حدثنا الحميدي عبد الله بن الزبير، قال حدثنا سفيان بن عيينة، قال: حدثنا عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم، سمع أنس بن مالك _رضي الله عنه_ يقول: قال رسول (ﷺ): "يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان منها ويبقى معه واحد يتبعه أهله، وماله، وعمله، فيرجع أهله وماله إذا انقضى أمر الحزن عليه سواء أقاموا بعد الدفن أم لا ويبقى عمله فيدخل معه القبر"[135].

فالميت هو منقطع عن الدنيا تبعه أهله وماله أم لم يتبعوه لأن معنى الرجوع "إذا انقضى أمر الحزن عليه رجعوا سواء أقاموا بعد الدفن أم لا" فهم راجعون عنه ولا يبقى معه إلا عمله لأنه حابسه

---

133 - الجعفي، أبي عبد الله محمد بن اسماعيل بن إبراهيم البخاري، صحيح البخاري، م1، جمعية البشرى الخيرية للخدمات الإنسانية والتعليمية، 2016، حديث رقم 16514، ص2877.

134 - الأصفهاني، أبي نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج2، مكتبة الخانجي، القاهرة، ودار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1996، ص343 – 344.

135 - البخاري، محمد بن إسماعيل العسقلاني إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ص240.

وملازمه في الدنيا وأثناء انتقاله إلى الآخرة، فالعمل هو التابع الحقيقي الذي يلازمه حتى يلقى ربه ويسير إلى مصيره الخالد.

وحدثنا محمد بن المثنى، حدثنا أبو داود، حدثنا عمران، عن قتادة، عن أنس قال: قال رسول الله (ﷺ): ما من عبد إلا وله ثلاثة أخِلاء، فأما خليل، فيقول: ما أنفقتَ فلك، وما أمسكت فليس لك، فذلك ماله، وأما خليل، فيقول: أنا معك، فإذا أتيب باب الملك تركتك ورجعت فذلك أهله، وخليل، يقول: أنا معك حيث دخلت، وحيث خرجت، فذلك عملُه، فيقول: إن كنت لأهون الثلاثة علي[136].

أي أن الإنسان في الدنيا، لابد له من أهل يعاشرهم، ومال يعيش به، فهذان صاحبان يفارقانه ويفارقهما.، فالسعيد: من اتخذ من ذلك ما يعينه على ذكر الله تعالى، وينفعه في الآخرة، فيأخذ من المال ما يبلغ به إلى الآخرة، ويتخذ زوجة صالحة تعينه على إيمانه، فأما من اتخذ أهلاً ومالاً يشغله عن الله تعالى، فهو خاسر، وكذا قالت الأعراب في قوله تعالى: ﴿شَغَلَتۡنَآ أَمۡوَٰلُنَا وَأَهۡلُونَا فَٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَاۚ[137]﴾، وقال تعالى: ﴿لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ[138]﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا[139]﴾.

أخبرنا أحمد بن جعفر القطيعي، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، حدثنا حمّاد، عن سِماكٍ عن النعمان بن بشير، أن رسول الله (ﷺ) قال: "مثل

136 - الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، كشف الأستار عن زوائد البزّار على الكتب الستة، ط1، ج4، مؤسسة الرسالة، بيروت، حديث رقم 3229، 1985، ص73.
137 - سورة الفتح، آية 11.
138 - سورة المنافقون، آية 9.
139 - سورة سبأ، آية 37.

المؤمن، ومثل الأجل مَثَلُ رجل له ثلاث أخِلاء، قال له مالُهُ، أنا مالك، خذ مني ما شئت، ودع ما شئت، وقال الآخر: أنا مَعَكَ أحمِلُك، وأضعُكَ، فإذا مت تركتك"، قال: "هذا عشيرته، وقال الثالثُ: أنا معك، أدخُلُ مَعَكَ، وأخرُجُ معك، مِتَّ أو حَيِيت". قال: "هذا عمله"[140].

فإذا مات الإنسان ولم ينتفع من أهله وماله بشيء، إلا بدعاء أهله له واستغفارهم، وبما قدمه من ماله بين يديه. وقال تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ[141]﴾، وقال _سبحانه وتعالى_ أيضاً: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ[142] ﴾فأما إن خلف من يدعو له من أهله، أو قدّم شيئاً من ماله فإنه ينتفع به.

فأهله لا ينفعه منهم بعد موته إلا من استغفر له، ودعا له، وقد لا يفعل، وقد يكون الأجنبي أنفع للميت من أهله، كما قال بعض الصالحين: وأين مثل الأخ الصالح؟؟ أهلك يقتسمون ميراثك، وهو قد تفرد بحزنك، يدعو لك وأنت بين أطباق الأرض.

فمن الأهل من هو عدو كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ[143] ﴾.

ومنهم من يشتغل عن الميت بحصول ميراثه كما قيل:

يَمُـــــــرُّ أقـــــاربي جنبــــات قبـــــري ... كـــــــأنَّ أقـــــــاربي لا يعرفـــــــوني!!

وذوي الميـــــراث يقتســـــمون مـــــالي ... ولا يـــــألون إن جحـــــدوا ديـــــوني!!

---

[140] - حديث رقم 252، ص327.

[141] - سورة الشعراء، آية 88 – آية 89.

[142] - سورة الأنعام، الآية 94.

[143] - سورة التغابن، آية 14.

وقـــد أخـــذوا ســـهامهم وعاشـــوا فيـــا لله مـــا أســـرع مـــا نســـوني!!

فأزهد الناس في عالم جيرانه، وشر الناس ميت: أهله يبكون عليه، ولا يقضون دينه، فتشير هذه الأبيات إلى أنهم يفعلون ما يضره، ويتركون ما ينفعه، فالبكاء إذا كان معه ندب أو نوح، أو تسخط: يعذب به الميت، فهذا أحد الأخلاء الثلاثة، وهو: الأهل، يصلون مع خليلهم إلى باب الملك وهو اللحد، ثم يرجعون عنه.

أما الخليل الثاني: فهو المال: ويرجع عن صاحبه أولاً: ولا يدخل معه قبره، ورجوعه كناية عن عدم مصاحبته له في قبره ودخوله معه، وأيحاناً يقصد بالمال الراجع: بمن يتبعه من رقيقه، ثم يرجعون مع الأهل فلا ينتفع الميت بشيء من ماله بعد موته، إلا ما كان قدمه بين يديه، فإنه يقدم عليه وهو داخل في عمله الذي يصحبه في قبره. وأما ما خلَّفه وتركه، فهو لورثته لا له، وإنما كان خازناً لورثته.

وحدثنا محمود بن غيلان حدثنا وهب بن جرير، حدثنا شعبة عن قتادة عن مطرف عن أبيه أنه انتهى إلى النبي (ﷺ) وهو يقول:ألهاكم التكاثر قال: "يقول ابن آدم: مالي مالي!! قال: وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت"[144].

وفيه أيضاً حدثني سويد بن سعيد حدثني حفص بن ميسرة عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة أن النبي (ﷺ) قال: "يقول العبد: مالي مالي، إنما له من ماله ثلاث، .... أو أعطى فاقتنى، وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس"[145].

---

144 - المباركفوي، محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم، تحفة الأحوذي، باب منه، ج7، حديث رقم 2342، ص7.

145 - النووي، أبو زكريا محيي الدين بن شرف، شرح النووي على مسلم، ج18، حديث رقم 2959، ص356.

وفي حديث آخر حدثني عمر بن حفص، حدثني أبي حدثنا الأعمس قال: حدثني إبراهيم التيمي عن الحارث بن سويد قال عبد الله قال النبي (ﷺ) قال: "أيكم مال وارثه أحبُّ إليه من ماله؟ قالوا: ما منا إلا ماله أحب إليه من مال وارثه، قال: فإن ماله ما قدم، ومال وارثه ما أخر".[146]

فلا ينتفع العبد من ماله إلا بما قدمه لنفسه، وأنفقه في سبيل الله _عز وجلّ- فأما ما أكله ولبسه فإنه لا له ولا عليه، إلا أن يكون فيه نية صالحة، فأما ما أنفقه في المعاصي فهو عليه لا له، وكذلك ما أمسكه ولم يؤد حق الله عز وجل منه، فإنه يمثل له شجاعاً أقرع، يتبعه وهو يفر منه، حتى يأخذ بهزيمتية، ويقول أنا مالك! أنا كنزك! ويلقمه يده فيقضمها قضم الفحل.وإن كان المكنوز ذهباً أو فضة جُعل صفائح، فأُحمي عليها ثم كوي بها جبينه وجبهته وجنبه. ودليل ذلك في الحديث التالي حدثني سويد بن سعيد حدثنا حفص يعني ابن ميسرة الصنعاني عن زيد بن أسلم أن أبا صالح ذكوان أخبره أن سمع أبا هريرة يقول قال رسول الله (ﷺ): "ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقّها إلا إذا كان يوم القيامة، صفحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة"[147]. وذلك تصديقاً لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيم يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ[148]﴾.

[146] - العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، باب ما قدم من ماله فهو له، حديث رقم 6077، ج11، ص265.

[147] - النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، شرح النووي، باب إثم مانع الزكاة، ج7، حديث رقم 987، ص53.

[148] - سورة التوبة، آية 34 – آية 35؟.

فمن تحقق هذا فليقدم لنفسه من ماله ما يحب، فإنه إذا قدمه في سبيل الله، فيراه يوم القيامة في ميزان غيره، فيتحسر على ذلك فيدخل هو بماله النار، ويدخل وارثه به الجنة، فالعاقل هو من قدم من ماله ما يحبه، فيفوز به في دار الإقامة، فإن من أحب شيئاً استصحبه، ولا يدعه لغيره، فيندم حين لا ينفع الندم.

وقال بعض الملوك لأبي حازم الزاهد: ما بالنا نكره الموت؟ قال: لتعظيمك الدنيا! جعلت مالك بين عينيك، فأنت تكره فراقه، ولو قدمته لآخرتك لأحببت اللحوق به، فقال تعالى: ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ[149]﴾.

قال الحسن: بئس الرفيقان الدرهم والدينار، لا ينفعانك حتى يفارقانك.

وقيل لبعضهم: جمع فلان مالاً! قال: هل جمع عُمراً ينفقه فيه؟ قالوا: لا. قال: ما جمع شيئاً!!.

يـــا جـــامع الأمـــوال بـــادر صـــرفها … واعلــــم بــــأن الطـــــالبين حثــــاث

خــذ مــن تراثــك مــا اســتطعت فإنمــا … شــــــركاؤك الأيـــــــام والـــــــورّاث

لــــم يقـــض حـــق المـــال إلا معشـــر … نظـــروا الزمـــان يعيـــث فيـــه فعـــاثوا

مـــا كـــان منـــه فاضـــلاً عـــن قوتِـــهِ … فلـــــــيعلمن بأنـــــــه ميـــــــراث

من قدم اليوم شيئاً قدم عليه غداً، ومن لم يقدم شيئاً قدم على غير شيء، فطال فقده في دار الإقامة.

[149] - سورة آل عمران، آية 92.

وقال بعض السلف: ابن آدم! إنما تسكن يوم القيامة فيما بنيت، وتنزل يومئذ على مانقلت في حياتك من متاعك.

حدثنا خلف بن هشام، حدثنا الحكم بن سنان، عن مُنيفة ابنة زربي، قالت: كنت بمكة مع مولاي، فإذا بامرأة عليها الناس مجتمعون يسألونها، وامرأةٌ تسألها، فقالت عائشة: مالي أرى يدك شَلّاء؟ قالت: أنا أخبرك، كان لي أبوان، أما أبي فكان رجلاً سخيّاً، كثير المعروف، وكانت أمي شحيحة لم أرها صنعت من المعروف شيئاً قط، إلا أن أبي ذبح بقرة، فرأيتها تصدّقت منها بشحمة، ورأيتها تصدّقت يوماً بخرقة، فهلك أبواي، فرأيت فيما يرى النائم كأن أبي على حوضٍ كثير الآنية يسقي الناس الماء، فالتفتُ ورائي، فإذا أمي مستلقية على ظهرها، وفي كفها تلك الشحمة بعينها أعرفها، وتلك الخِرقة على فرجها، وهي تلطعُ الشحمة بإصبعها، وتقول: واعطشى، فقلت: هذه أمي عطشى، وهذا أبي يسقي الناس الماء، فلو أتيتُ إناءً من هذه الآنية، فسقيت والدتي، فاغترفت بإناء منها، فأتيتها لأسقيها، فسمعت منادياً ينادي من السماء: ألا من سقاها شُلَّت يمينه، فأصبحت ويدي كما ترين[150].

والخليل الثالث هو العمل، وهو الذي يدخل مع صاحبه قبره، فيكون معه فيه ويكون معه إذا بعث، ويكون معه في مواقف القيامة، وعلى الصراط، وعند الميزان، وبه تقسم المنازل في الجنة والنار، قال الله _سبحانه وتعالى_ ﴿ مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ[151] ﴾، وقال أيضاً _جلّ علاه_: ﴿ مَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ[152]﴾. فالعمل الصالح يكون

150 - ابن أبي الدنيا، مجابو الدعوة، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، حديث رقم 71، ص101.

151 - سورة فصلت، آية 46.

152 - سورة الروم، آية 44.

مهاداً لصاحبه في القبر، حيث لا يكون للعبد من متاع الدنيا فراش ولا وسادة ولامهاد، بل كل عامل يفترش عمله ويتوسده من خير أو شر. فالعاقل من عمّر بيته الذي تطول إقامته فيه، ولو عمره بخراب بيته الذي يرتحل عنه قريباً لم يكن مغبوناً بل كان رابحاً، فاعملوا للدنيا على قدر مكثك فيها، واعمل للآخرة مكثك فيها.

تكليم القبر

وتستمر رحلة الروح إلى الدار الثانية إذ الدور ثلاث: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار الآخرة، والقبر هو تلك الحفرة الضيقة التي لا أنيس بها ولا جليس، ولا صديق ولا سمير، اللهمَّ إلا عمل صالح قدّمه الميت قبل وفاته، فهو أنيس في قبره، ومزيل وحشته، هو ذلك المكان الذي يضم بين جوانبه الجثث الهامدة التي لا حراك بها، ولا نبض في عروقها والأجسام البالية، والعظام الناخرة، والأشلاء المبعثرة، والشعور المتناثر، والأوصال المتقطعة، هو موطن العظماء والحقراء، والحكماء والسفهاء، ومنزل الصالحين السعداء، والطالحين الأشقياء، هو محكمة السؤال والمناقشة، والأخبار والمراجعة، والإضراب والأهوال، والتوفيق والتثبيت، إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار، وإما دار كرامة وسعادة، أو دار إهانة وشقاوة.

فإذا تم وضع الميت بالقبر، وأغلقوا عليه فأحكموا الإغلاق، ثم تركوه وحيداً وانصرفوا عنه، وهو يسمع قرع نعالهم، ذهبوا وتركوه، وفي التراب دفنوه، وفي هذا الجو الموحش، والسكون القاتل، والظلمة المخيفة، تجد من يُحدثك ويُكلمك، يا له من هول يشيب له الولدان، من المتكلم؟ إنه القبر.. فإذا كان العبد صالحاً قال له القبر: مرحباً وأهلاً، وإذا كان عاصياً قال له القبر: لا مرحباً ولا أهلاً.

وردت بعض الروايات التي تنص على أن القبر يخاطب الميت عندما يوضع فيه، غير أن هذه الروايات ضعيفة، ومن هذه الروايات ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه، حيث قال: دخل رسول الله (ﷺ) مصلاه فرأى ناساً كأنهم يضحكون، قال: أما إنكم لو أكثرتم ذكر هاذم اللذات .... فإنه لم يأت على القبر يوم إلا تكلم فيه، فيقول: أنا بيت الغربة، وأنا بيت الوحدة، وأنا بيت التراب، وأنا بيت الدود، فإذا دفن العبد المؤمن قال له القبر: مرحباً وأهلاً، أما إن كنت لأحب من يمشي على ظهري إلي، فإذا وليتك اليوم وصرت إلي، فسترى صنيعي بك"، قال: "فيتسع له مدّ بصره، ويفتح له بابٌ إلى الجنة، وإذا دفن العبد الفاجر، أو الكافر قال له القبر: لا مرحباً ولا أهلاً، أما إن كنت لأبغض من يمشي على ظهري إليّ، فإذا وليتك اليوم وصرت إليّ، فسترى صنيعي بك"، قال: فيلتئم عليه حتى يلتقي عليه، وتختلف أضلاعه"، قال: قال رسول الله (ﷺ) بأصابعه، فأدخل بعضها في جوف بعض، قال: "ويُقيضُ الله له سبعين تنيناً لو أنّ واحداً منها نفخ في الأرض، ما أنبتت شيئاً ما بقيت الدنيا، فينهشه ويخدشه حتى يُفضى به إلى الحساب "قال: قال (ﷺ) إنما القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار"[153].

وروى هانئ مولى عثمان بن عفان قال: كان عثمان رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتذكر القبر فتبكي؟ فقال: "إني سمعت رسول

[153] – الترمذي، سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب 26 (236/4)، حديث رقم 2460.

الله (ﷺ) يقول: القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه، قال وسمعت رسول الله (ﷺ) يقول: ما رأيت منظراً إلا والقبر أفظع منه"[154].

ضمة القبر

إن الطريقة التي تناول القرآن بها قضية الموت وتنوع الأساليب في عرضه لها تنبئ عن شمولية الطرح وبلاغة العبارة، فالآية الواحدة تحتوي دلالات عظيمة وتختصر طريق طويلة لتعبر في غاية الدقة عن أحداث متعددة، فحين يتحدث القرآن عن الشهداء الذين قتلوا في سبيل الدفاع عن دينهم ورفع كلمة التوحيد، وقد ورد في الحديث أن للقبر ضمة لابد منها لكل ميت قال الرسول (ﷺ): "لو نجا أحد من ضمة القبر، لنجا سعد بن معاذ، ولقد ضم، ثم رُخِّيَ عنه"[155].

فضمة القبر أو ضغطة القبر هي التقاء جانبيه على جسد الميت، وضمة القبر لا ينجو منها أحدٌ كبيرٌ أو صغيرٌ، صالحٌ أو طالحٌ، ويكون هذا الضم بعد سؤال الميت في القبر أو غيره كما لو طرح الميت في الصحراء ولم يدفن فإنه يضيق عليه الجو ويضمه كالقبر، فسبحان القادر على كل شيء، ويختلف الضم باختلاف العمل، فالصالح يضمه القبر كما تضم الأم الشفيقة ولدها الوحيد الذي حضر بعد طول غياب، والطالح يضمه القبر ويضغط عليه حتى تختلف أضلاعه، ويدوم الضغط على الكافر، ولا يدوم على المؤمن، وحكمة ضغطة القبر وضمه: هي ما رواه ابن أبي الدنيا عن محمد التيمي قال: كان يقال: إن الأرض أمهم ومنها خلقوا فغابوا عنها الغيبة الطويلة فلما ردوا

---

[154] – القزويني، أبي عبد الله محمد بن يزيد، صحيح سنن ابن ماجة، الزهد باب ذكر القبر، ط1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، 1997، حديث رقم 4267.

[155] – البهيقي، إثبات عذاب القبر، حديث رقم 119.

إليها ضمتهم ضمة الوالدة التي غاب عنها ولدها ثم قدم عليها. فمن كان لله مطيعاً ضمته برأفة ورفق، ومن كان عاصياً ضمته بعنف سخطاً منها عليه لربها[156].

فقد يكون ضيق القبر ووحشته وانعدام الاستطاعة فيه على الحركة وإرادة الفعل وراء اجتناب أكثر الناس التفكير بهذا الأمر الحتمي. فتراهم يهربون من التأمل فيه، والنظر في تفاصيله، ولكن الذين نظروا إلى الدنيا بهيئتها الحقيقية باعتبارها دار ممر، وأن الإنسان فيها مسافر إلى عالم آخر، بل إنه مكره على السفر والانتقال منها، حرصوا على التدبر في أحوالها وجعلوا من أيام أعمارهم فيها مزرعة للآخرة، فهناك كثير من الآيات القرآنية التي تتناول عالم ما بعد الموت وما تتضمنه من مواعظ وعبر وكذلك الأحاديث الشريفة ذي الأهمية في عالم التكوين.

إنها تذكرة بنا ينتظر المؤمن كإنسان ساعة عودته إلى الأرض التي خلق منها لتكون هذه التذكرة درساً وموعظة يدرك الإنسان بها أنه فان ومغادر هذه الدنيا بعجز مطلق وغياب الناصر وانعدام الأسباب والتسليم بانفراد لضغطة الأرض التي طالما مشي عليها وسخرها لخدمته، ومثلما يكون الموت وكيفية قبض الروح بالنسبة للمؤمن التي تتصف بالراحة والسكينة والبشارة وبالنسبة للكافر وجهاً من وجوه العذاب، كذلك ضغطة القبر في نتائجها حيث تكون للمؤمن باباً من أبواب المغفرة . عن السكوني عن الامام جعفر الصادق عليه السلام عن ابائه قال : قال رسول (ﷺ): (ضغطة القبر للمؤمن كفارة لما كان منه من تضييع النعم).

ومن اوجه تضييع النعم عدم استثمارها في طاعة الله والتقصير في مستلزمات الشكر وأداء الحقوق وتركها أو أن لا يعبأ بها الانسان ولا يعرف اهميتها حتى يفقدها.

---

[156] – خليفة، محمد عبد الظاهر، الحياة البرزخية من الموت إلى البعث، ص136 .

والحـديث تأديـب مبـارك وإرشـاد للنجـاة مـن ضـغطة القـبر او تخفيفهـا وذلـك بـالحرص علـى عدم تضـييع الـنعم. بـل وحتـى ضـغطة القبر الـتي تعـني الشـدة والمشـقة والعصـر تكـون للمـؤمن (ضـمة) والضـم الجمـع وضـم الشـيء الى الشـيء والاصـطلاح لا يخلـو مـن مضـامين الرفـق والتخفيـف كمـا في حـديث سـعد المتقـدم ومـا ورد فيـه عـن رسـول الله (ﷺ)، إذ قـال : إنـه لـيس مـن مـؤمن إلا ولـه ضـمة لـيس هـذا فقط بـل قـام الـنبي محمـد (ﷺ) بإرشـاد المسـلمين إلى اتخـاذ الـدعاء سـبيلا الى النجـاة مـن ضـغطة القـبر سـواء كـان ذلـك بـدعاء المـؤمن لنفسـه في حياتـه أو دعـاء المشـيعين وذويـه لـه. قـال أبـو بصـير : سمعـت أبـا عبـد الله الصـادق عليـه السـلام يقـول : إن رقيـة بنـت رسول الله (ﷺ) لمـا ماتـت قـام رسول الله (ﷺ) علـى قبرهـا . فرفـع يـده تلقـاء السـماء ودمعـت عينـاه فقـالوا لـه :يا رسول الله إنّـا قـد رأينـاك رفعـت رأسـك إلى السـماء ودمعـت عينـاك، فقـال : إني سـألت ربـي أن يهـب لي رقيـة مـن ضـمة القـبر، إنها دعـوة للمـؤمنين للنجـاة مـن ضـغطة القبر بالـدعاء لتـأثيره الفعـال في التركيبـة الطبيعيـة للأحداث ومـن غـير تعـارض مـع قواعـد النظـام الكـوني لدخوله بفضله تعالى في الأسباب.

وفي وفـاة فاطمـة بنـت أسـد أم الإمـام علـي عليـه السـلام يبـدو واضـحاً اهتمـام الـنبي في موضـوع ضـغطة القـبر وحرصـه علـى نجاتهـا منـه بـراً بهـا ووفـاء لمـا أسـهمت فيـه في بنـاء قواعـد الإسلام بتعاهـدها الـنبي (ﷺ) في السـنين الأولى مـن عمـره الشـريف وقـد أطرى عليهـا الـنبي (ﷺ) بقوله: (لم نلق بعد أبي طالب أبر بي منها) هـذا وقـد ذكـر انـه لمـا ماتـت فاطمـة بنـت أسد أم أمير المـؤمنين عليـه السـلام أقبـل باكيـاً فقـال لـه الـنبي (ﷺ): ما يبكيـك؟ لا أبكى

الله عينــك . قــال: توفـيـت والــدتي يا رسـول الله، قـال لــه الـنبي (ﷺ): بـل والـدتي يـا علي فلقـد كانــت تجـوع أولادهــا وتشــبعني، وتشـعث أولادها وتـدهنني والله لقـد كـان في دار أبي طالـب نخلــة فكانــت تســابق إليها مـن الغـداة لتلـتقط، ثـم تجنيــه فإذا خرجـوا بنـو عمــي تنــاولني ذلـك، ثـم نهـض (ﷺ) فاخـذ في جهازهـا وكفنـها بقميصـه. وكـان في حـال تشـييع جنازتهـا يرفـع قـدماً ويتـأنى في رفـع الأخر، وهـو حـافي القـدم، فلمـا صـلى عليهـا كـبر سـبعين تكـبيرة، ثـم لحّـدها في قبرهـا بيـده الكريمـة بعـد ان نـام في قبرهـا.[157]

ولقنـها الشـهادة، فلمـا أُهيـل عليهـا الـتراب وأراد النـاس الانصـراف، جعـل رسـول (ﷺ) يقـول لهـا : ابنـك، ابنـك، لا جعفـر ولا عقيـل . ابنـك: علـي بـن أبي طالـب . ولمـا سئل رسـول (ﷺ) عمـا فعلـه . أجاب: أما التـأني في وضــع أقدامي ورفعهـا في حـال التشـييع للجنـازة فلكثـرة ازدحـام الملائكـة، وأما تكـبيري سـبعين تكـبيرة فإنها صـلى عليهـا سـبعون صـفاً مـن الملائكـة وأما نـومي في لحـدها فـاني ذكـرت في حـال حياتهـا ضــغطة القـبر. فقالـت: واضــعفاه، فنمـت في لحـدها لأجل ذلـك حتـى كفيتـها ذلـك، وأمـا تكفيني لهـا بقميصــي فـاني ذكـرت لهـا في حياتهـا القيامـة وحشـر النـاس عـراة فقالـت : واسـوأتاه، فكفنتـها بـه، لتقـوم يـوم القيامـة مسـتورة وأمـا قـولي لهـا ابنـك، ابنـك، لا جعفـر ولا عقيـل فإنها لمـا نـزل عليهـا الملكـان وسـألها عـن ربهـا فقالـت : الله ربّي ، وقـالا: مـن نبيـك؟ قالـت: محمـد نبيــي. فقـالا: مـن وليـك ......

---

[157] – ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، م4، ص380.

ان بركـة دعـاء رسـول الله (ﷺ) اتصـلت منـذ ذلـك الحـين لتكـون مـؤثرة في رفـع ضـغطة القـبر أو تخفيفهـا عـن المـؤمنين فمـع أنهـا في المـؤمن أيضـاً تجـري واقعـاً ولكنـها ربمـا تكـون بطـابع اللطـف ولتكـون تطهـيراً لـه ممـا لحقـه مـن ذنـوب الـدنيا خاصـة وأنهـا تـلازم السـؤال مـن قبـل الملائكـة لمـا روي عـن أبـي بصـير عـن الإمـام جعفـر الصـادق عليـه السـلام انـه قـال : يسـأل وهـو مضـغوط .

ولكـن هـذا لا يعـني ان مـن لا يضـغط لا يسـأل فقـد يتعـرض بعـض النـاس بـل أكثرهم إلى ضـغطة القـبر والسـؤال معـاً. وقـد ينجـو بعض الناس من أحدهما أو كليهما .وهنـاك بـاب مـن أبواب رحمتـه تعـالى فتحـه للمـؤمنين للنجـاة مـن ضـغطة القـبر وهـو حـدوث الوفـاة في سـاعة مباركـة . فبالإسناد عـن إبان بـن تغلـب عـن الإمام جعفـر الصـادق عليـه السـلام قـال : مـن مـات مـابين زوال الشـمس يـوم الخمـيس إلى زوال الشـمس مـن يـوم الجمعـة مـن المـؤمنين أعـاذه الله مـن ضـغطة القـبر . وفي ذلـك بشـارة وحسن مواساة لمن يكون أجله في ليلة الجمعة أو صدر نهارها.

وقال الحكيم الترمذي: سبب هذه الضغطة أنه ما من أحد إلا وقد ألم بذنب فتدركه هذه الضمة جزاء له ثم تدركه الرحمة، واعلم أن كل ميت يضمه القبر إلى من استثنى ولم ينج منها سعد بن معاذ الذي اهتز له عرش الرحمن عند موته إجلالاً له وتكريماً وفتحت له أبواب السماء وشهد جنازته سبعون ألفاً من الملائكة[158].

[158] – خليفة، محمد عبد الظاهر، الحياة البرزخية من الموت إلى البعث، ص137

عن بن عازب _رضي الله عنهما_ قال: قال رسول الله (ﷺ) وإن كان منافقاً قال: سمعت الناس يقولون فقلت مثله لا أدري، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض: التئمي عليه، فتلتئم عليه، فتختلف فيها أضلاعه، فلا يزال فيها معذباً، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك"[159].

وعنه رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله (ﷺ) يوماً إلى سعد بن معاذ حين توفي، قال: فلما صلى عليه رسول الله (ﷺ)، ووُضِعَ في قبره، وسوي عليه، سبح رسول الله (ﷺ) فسبحنا طويلاً، ثم كبَّرَ فكبرنا، فقيل: يا رسول الله، لم سبحت، ثم كبّرت؟ قال: "قد تضايق على هذا العبد الصالح قبرُهُ، حتى فرّجهُ الله عزّ وجل عنه"[160].

وعن ابن عمر _رضي الله عنه_ عن رسول الله (ﷺ) قال: "هذا الذي تحرّك له العرش، وفتحت له أبواب السماء، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة، لقد ضُمَّ ضمّةً ثم فُرّجَ عنه"[161].

في الحديث إشارة إلى أن جميع ما يحصل للمؤمن من أنواع البلايا، حتى في أول منازل الآخرة، وهو القبر وعذابه وأهواله، لما اقتضته الحكمة الإلهية من التطهيرات، ورفع الدرجات، ألا ترى أن البلاء يخمد النفس، ويذلها، ويدهشها عن طلب حظوظها، ولو لم يكن في البلاء إلا وجود الذلة لكفى، إذ مع الذلة تكون النصرة[162].

---

159 – الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، (383/3)، حديث رقم 1071.

160 – ابن حنبل، مسند أحمد، م360/3، حديث رقم 14916.

161 – النسائي، سنن النسائي، كتاب الجنائز، باب ضمة القبر وضغطته، م100/4، حديث رقم 2055.

162 – المناوي، فيض القدير، م5، ص332، حديث رقم 7493.

وقال أبو القاسم السعدي[163] "لا ينجو من ضغطة القبر صالح ولا طالح، غير أن الفرق بين المسلم والكافر فيها دوام الضغط للكافر، وحصول هذه الحالة للمؤمن في أول نزوله إلى قبره ثم يعود إلى الإفساح له"[164]. ولعل هذا الضغط، أنه ما من أحد إلا وقد ألمَّ بذنب ما، فتدركه هذه الضغطة جزاء لها، ثم تدركه الرحمة[165].

وأما ضمة القبر للصغير فواقعة له، وذلك لما يرويه أنس بن مالك _رضي الله عنه_ قال: "مات صبي، فقال رسول الله (ﷺ) لو أفلت أحد من ضمة القبر، أفلت هذا الصبي". وفي رواية " لو نجا أحد من ضمة القبر لنجا هذا الصبي"[166].

مما لا شك فيه أن القبر هو أول منازل الآخرة وأن المكوث فيه مستمر حتى يوم البعث والنشور، وقد ورد عن النبي (ﷺ) أنه قال: "إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة"[167]. وفي هذا دليل على أن أصحاب القبور إما منهم فهو في نعيمه إلى يوم القيامة، وإما معذب في قبره فهو في عذاب دائم إلى يوم البعث والنشور،

---

[163] – هو عبد الغفار بن محمد بن عبد الكافي الشافعي، وهو أحد علماء الحديث في عصره.

[164] – السيوطي، جلال الدين، سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، وحاشية الإمام السندي، دار المعرفة، م4، ص101.

165 – السيوطي، ينن النسائي بشرح السيوطي، م4، ص102.

[166] – الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، ط1، م2، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة. 602، حديث رقم 1434.

[167] – مسند الإمام أحمد، م6، ص55، حديث رقم 2444.

مما سبق من الأحاديث يتبين أن ضغطة القبر وضمته للمؤمنين والكافرين، وأما سبب الضغطة لصغار السن وللمؤمنين بشكل عام، ولمن غفر الله تعالى لهم ذنوبهم بشكل خاص كالمبشرين بالجنة، وأهل بدر والشهداء فالله تعالى أعلم بكيفية تلك الضغطة، ووقعها على هؤلاء، وفي سبب وقوعها لمن تقبض روحه من الثّقلين، قال السيوطي: "المؤمن المطيع لا يكون له عذاب القبر، ويكون له ضغطة القبر، فيجد هول ذلك وخوفه، لمّا أنه تنعم بنعمة الله ولم يشكر النعمة"[168].

ويصور السيوطي ضمة القبر، وأصله _الأرض_ كما لو: "أنها أمهم، ومنها خلقوا، فغابوا عنها الغيبة الطويلة، فلما ردّ إليها أولادها ضمتهم ضم الوالدة غاب عنها ولدها ثم قدم عليها، فمن كان لله مطيعاً ضمّته برأفة ورفق، ومن كان عاصياً، ضمّته بعنف، سخطاً منها عليه لربها"[169].

وقيل في ألم ضمة القبر وضغطته: "هذه الضمة ليست من عذاب القبر في شيء، بل هو أمر يجده المؤمن، كما يجد ألم فقد ولده وحميمه في الدنيا، وكما يجد من ألم مرضه، وألم خروج نفسه"[170].

الذين تم استثناءهم من ضمة القبر:

أولاً: الأنبياء: فإن القبر لا يضمهم لأنهم معصومون من ارتكاب الذنوب والآثام. قال الحكيم الترمذي: وأما الأنبياء _عليهم الصلاة والسلام_ فلا نعلم أن لهم في القبور ضمة ولا سؤال لعصمتهم.

---

168 – السيوطي، شرح الصدور، م1، ص98.

169 – السيوطي، شرح الصدور، م1، ص98.

170 – الذهبي، سير أعلام النبلاء، م1، ص290.

ثانياً: ومن قرأ "قل هو الله أحد" في مرضه الذي يموت فيه لقوله (ﷺ): "من قرأ: "قل هو الله أحد" في مرضه الذي يموت فيه لم يفتن في قبره وأمن من ضغطته وحملته الملائكة يوم القيامة بأكفها حتى يجيزوه من الصراط إلى الجنة"[171].

قال جلال الدين السيوطي رحمه الله نظماً:

وضمة القبر وليس من أحدْ

يسلم منها ما عدا بنتَ أسدْ

فاطمةً ومن لإخلاصٍ قرا

في مرضِ الموتِ كما قد ذكرا

ويضغط الميّت ضغطة تزول

منها الحمائل كما قال الرَّسول

في البيت الثالث اقتباس من كلام رسول الله (ﷺ)، فقد أخرج أحمد والحكيم والترمذي في نوادر الأصول وبهيقي في كتاب عذاب القبر عن حذيفة قال: كنا مع النبي (ﷺ) في جنازة فلما انتهينا إلى القبر قعد على شقه فجعل يردد بصره فيه قم قال: "يضغط فيه المؤمن ضغطة تزول منها حمائله، ويملأ على الكافر ناراً".

قال الأزهري: الحمائل هنا عروق الانثين، قال: ويحتمل أن يراد موضع حمائل السيف أي عواتقه وصدره وأضلاعه.

---

171 – أخرجه أبو نعيم في الحلية عن عبد الله بن الشخير.

سبب ضمة القبر:

ذكر الحكيم الترمذي أن سبب ضم القبر لسيدنا سعد _رضي الله عنه_ أنه كان يقصر في بعض الطهور، فإن القوم من ابتداء الإسلام يتمسحون بالحجارة والتراب، فلما نزل قوله تعالى: ﴿ رِجَال يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلمُطَّهِّرِينَ[172]﴾.

فشا فيهم الطهور، فمنهم من كان يستنجي ومنهم من كان يتطهر بالماء، وليس الاستنجاء بذنب عندهم ولا خطيئة فيحاسبون في قبورهم، فمن ورد اللحد مع التقصير نالته ضمة الأرض كما نالت سعداً مع عظم قدره فكانت ضمة ثم فرّج عنه..[173].

وأما ضمة القبر فهي عامة لكل ميت وإن لم يكن مكلفاً، قلت فهذه الأقوال تؤيد ما جاء في الأحاديث من عموم ضمة القبر لكل الناس إلا من حفظه الله، وتبرز أفضلية سيدنا سعد _رضي الله عنه_ إذ لو نجا من ضمة القبر أحد......

رد الشبهة الواردة في سبب ضمة القبر لسيدنا سعد _رضي الله عنه_:

إن سبب ضمة القبر لسيدنا سعد بن معاذ _رضي الله عنه_ ضعفها ووهنها، وكيف يصح هذا في حق هذا الصحابي الجليل والسيد المبارك الذي اهتز لموته عرش الرحمن، وكان مستجاب الدعوة، والذي وافق حكمه حكم الله _عزّ وجلّ_ من فوق سبع سماوات كما تقدم في ذكر إسلامه ومناقبه. ومع هذا الضعف البين على تلك الروايات يلاحظ أن بعض أهل العلم استدل بها على سبب

---

172 – سورة التوبة، آية 108.

173 – نوادر الأصول في معرفة أخبار الرسول (ﷺ) ج2، ص102.

ضمة القبر لسيدنا سعد بن معاذ _رضي الله عنه_ بل وقع بعضهم في التصريح بأنه المذكور في حديث اللذين يعذبان في قبريهما الآتي بعد فهما شبهتان:

الأولى: ترجيح أن سبب الضمة في حق سيدنا سعد بن معاذ _رضي الله عنه_ هو التقصير في الطهور وقد صرح بهذا بعض العلماء. فقال الحكيم الترمذي: سبب هذه الضغطة أنه ما من أحد إلّا وقد ألم بخطيئة ما وإن كان صالحاً فجعلت هذه الضغطة جزاء له ثم تدركه الرحمة ولذلك ضغط سعد بن معاذ في التقصير من البول[174].

وقال الإمام السرخسي في المبسوط: ولما ابتلى سعد ابن معاذ _رضي الله عنه_ بضغطة القبر سئل رسول الله (ﷺ) عن سببه، فقال: "إنه كان لا يستنزه من البول"، ولم يرد به بول نفسه فإن من لا يستنزه منه لا تجوز صلاته، وإنما أراد أبوال الإبل عند معالجته[175]ا، وعزاه إليه العيني في البناية وكأنه ارتضاه والله أعلم[176].

نعم هناك نصوص صحيحة وصريحة في أن عذاب القبر بعضه متعلق بالبول، منها حديث ابن عباس _رضي الله عنه_ مرّ بالنبي (ﷺ) على قبرين فقال: "إنهما ليُعذبان وما يُعذبان من كبير، ثم قال: بلى أمّا أحدهما فكان يسعى بالنميمة، وأما أحدهما فكان لا يستتر من بولِهِ قال: ثم أخذ عوداً رطباً، فكسره باثنتين، ثم غرز كل واحدٍ منهما على قبرٍ، ثم قال: لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا"[177].

---

[174] –السيوطي، شرح الصدور، ص115.

[175]– شمس الدين السرخسي، المبسوط، م1، دار المعرفة، بيروت، ، م1، ص54.

[176]– العيني، أبي محمد محمود بن أحمد، البناية في شرح الهداية، م1، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1980، ص444.

[177] – صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب عذاب القبر من الغيبة والبول، م2، ص99، حديث رقم 1378.

وبناءً على ما جاء في هذا الحديث زعم بعض أهل العلم أن أحد من في هذين القبرين هو الصحابي الجليل سعد بن معاذ _رضي الله عنه_. وهي الشبهة الثانية.

فقال القرطبي: ذكر بعض أصحابنا فيما نقل إلينا عنه أن القبر الذي غرس عليه النبي (ﷺ) العسيب هو قبر سعد بن معاذ، وهذا باطل وإنما صح أن القبر ضغطه كما ذكرنا ثم فرج عنه[178].

وهذه الشبهة لم يذكرها أحد من العلماء إلى وصرح ببطلانها، بل قال بعضهم: لا ينبغي ذكرها إلا مقرونة ببيان بطلانها، وقد سبق كلام القرطبي.

وقال صاحب التوضيح: وأبعد من قال: إن صاحب هذين القبرين كانا من غير أهل القبلة، وعين بعضهم صاحب أحد القبرين بما لا أوثر ذكره، وإن ذكره القرطبي في "تذكرته" حكاية، قلت: وكأنه ينتقد القرطبي في إيراده هذه الشبهة[179].

وقال الحافظ ابن حجر: تنبيه: لم يعرف اسم المقبورين ولا أحدهما والظاهر أن ذلك على عمد من الرواة لقصد الستر عليهما وهو عمل مستحسن وينبغي أن لا يبالغ في الفحص عن تسمية من وقع في حقه ما يذم به، وما حكاه القرطبي في التذكرة وضعفه عن بعضهم أن أحدهما سعد بن معاذ فهو قول باطل لا ينبغي ذكره إلا مقروناً ببيانه، ومما يدل على بطلان الحكاية المذكورة أن النبي (ﷺ) حضر دفن سعد بن معاذ كما ثبت في الحديث الصحيح، وأما قصة المقبورين ففي حديث أبي إمامة عند أحمد أنه (ﷺ) قال لهم: "من دفنتم ههنا اليوم؟" فدل على أنه لم يحضرهما، وإنما ذكرت هذا ذبّاً عن هذا السيد الذي سماه النبي (ﷺ) سيداً وقال لأصحابه: "قوموا إلى سيدكم"، وقال:

---

178 – التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ص399.

179 – ابن الملقن، سراج الدين أبي حفص عمر بن أبي الحسن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، م4، ط1، دار النوادر للطباعة، سوريا، 2008، ص393.

إن حُكمه قد وافق حكم الله"، وقال: "إن عرش الرحمن اهتز لموته"، إلى غير ذلك من مناقبه الجليلة خشية أن يغتر ناقص العلم بما ذكره القرطبي فيعتقد صحة ذلك وهو باطل[180].

دخول الملكين

لم يخلق الله _عز وجل_ خلقاً أكثر من الملائكة وأناط بهم الأعمال والوظائف المختلفة لحكمته في الخلق ولحسن تدبيره جلت قدرته وهو القادر على الفعل من غير أداة أو واسطة إذ أن جميع الأشياء مستجيبة لمشيئته فطائفة من الملائكة موكلون بحمل العرش، وآخرون مشغولون بالتسبيح وهم حافون من حوله، وفئة تتولى حفظ الأسماء، وأخرى لحفظ بني آدم، ومنهم الكتبة الذين يدونون أعمال العالمين ونسخها ورفعها، وطائفة منقطعة إلى العبادة والتسبيح، ومنكر ونكير لغة كمحسن وكريم وهما ملكان من ملائكة الله عز وجل ينكران أعمال وأخلاق السوء من العبد عند إدخاله في القبر.

ولقد اتفق أهل الإسلام على سؤال منكر ونكير للميت في قبره وما يتعرض له الكفار من العذاب عند السؤال ومخالفة شخص واحد وهو ضرار بن عمرو للإجماع في هذا الباب أمر لا يعتد به خاصة، وأن السمع تواتر بحدوث هذا العذاب للكفار، بالإضافة إلى إمكان ذلك ورود استشهاد في المقام بقوله تعالى: ﴿ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا[181]﴾، ومن الناس من أثبت العذاب في القبر دون الاحياء ومنهم من وصف العذاب بأن اجتماع للألام في الجسد، ومنهم من قال بالإحياء ولكن من غير إعادة للروح.

---

[180] – فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ص4713.

[181] – سورة غافر، آية 11.

بعد دفن الميت، ومواراته بالتراب، ينزل عليه الملكان الموكلان بسؤاله، وهما المُنكر، والنكير، وقد صرّح النبي (ﷺ) باسمهما في الحديث الذي يرويه عنه أبي هريرة _رضي الله عنه_ حيث قال: قال رسول الله (ﷺ) إذا قُبِرَ الميت أو قال: أحدُكُم أتاه ملكان أسودان أزرقان، يُقال لأحدهما: المُنكر، والآخر النَّكير، فيقولان: ما كُنتَ تقول في هذا الرجل؟ ....[182].

فالمؤمن ينتفع مستفيداً من صفة الرحمن والرحيم في دار الحياة الدنيا ومن الرحيم في الدار الآخرة، بينما لا ينتفع الكافر إلا من صفة الرحمن وفي الحياة الدنيا فقط ليس هذا فحسب بل إن هذا النفع يكون عليه في الآخرة حجة وحسرة دائمة وابتداءً من الدخول إلى القبر. قال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ[183]﴾.

وقد اختلف في الوظيفة الإضافية لمنكر ونكير من تعذيب الميت بعد سؤاله. فهل هما اللذان يتولان عذاب الكافر، أم أنهما يكتفيان بالسؤال ثم يوكلان الميت أما إلى ملائكة النعيم أو إلى ملائكة العذاب، أو أن أحدهما من ملائكة النعيم والآخر من ملائكة العذاب. فإن أجاب الميت بما يستحق النعيم قام عنده ملك النعيم وإن ظهر أنه يستحق العذاب تولاه ملك العذاب وغادره ملك النعيم. وربما كان السؤال والعذاب في ساعة واحدة وهما اللذان يقومان به ولا يبعد أن يكون لهما أعوان كما لملك الموت أعوان، وقد روي عن الرسول (ﷺ) أنه قال: إذا أقبر الميت أتاه ملكان ....[184].

---

[182] – الألباني، مشكاة المصابيح، م1، ص28، حديث رقم 130.

[183] – سورة التكاثر، الآية 8.

[184] – سبق ذكر وتخريج الحديث في الفصل الأول.

وعندما يتحدث الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن عذاب القبر ويقول: ثم يدخل عليه ملكا القبر وهما قعيدا القبر منكر ونكير. يسأله أبو بصير قائلاً: جعلت فداك يدخلان على المؤمن والكافر في صورة واحدة؟ فقال عليه السلام: لا. قال: فيقعدانه ويلقيان فيه الروح إلى حقويه فيقولان له: ..... أي أن اختلاف صورهما يشبه تباين صور ملك الموت بالنسبة للمؤمن والكافر.

سؤال الملكين

من أهوال القبر وفظاعته أيضاً سؤال الملكين، ولِعِظَمِ أمرهما، وشدة وقوعهما على الميت أطلق عليها فتنة القبر[185].

وصح عن أم المؤمنين عائشة _رضي الله عنها_ أنها قالت: "سألتها امرأة يهودية فأعطتها، فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر، فأنكرت عائشة ذلك، فلما رأت النبي (ﷺ) قالت له، فقال: "لا" قالت عائشة: ثم قال لنا رسول الله (ﷺ) بعد ذلك "إنه أوحي إليّ أنكم تفتنون في قبوركم"[186].

وروي عنه (ﷺ) أنه كان يستعيذ من فتنة القبر وعذاب القبر، فعن عائشة _رضي الله عنها_ أن النبي (ﷺ) كان يقول: "اللهم إني أعوذ بك من الكسل... إلى قوله ومن فتنة القبر وعذاب القبر[187]، قال ابن حجر: "قوله: " ومن فتنة القبر": هي سؤال الملكين"[188].

---

[185] – ابن الأثير، مجد الدين بن محمد الجزدي، النهاية في غريب الحديث والأثر، م3، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، إدارة الشؤون الإسلامية، قطر، ص410.

[186] – ابن حنبل، مسند أحمد، م6، ص238، حديث رقم 26050.

[187] – البخاري، صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب التعوذ من المأثم والمغرم، م5، ص2341، حديث رقم 6007.

[188] – الخاري، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، م11، ص177.

وسبب تسمية الملكين بفتاني القبر _منكر ونكير_: "لأن في سؤالهما انتهاراً، وفي خلقهما صعوبة، ألا ترى أنهما سميا منكراً ونكيراً؟، فإنما سميا بذلك لأن خلقهما لا يشبه خلق الآدميين، ولا خلق الملائكة، ولا خلق الطير، ولا خلق البهائم، ولا خلق الهوام، بل هما خلق بديع وليس في خلقتهما أُنس للناظرين إليهما، جعلها الله تكرمه للمؤمن يثبته وينصره، وهتكاً لستر المنافق في البرزخ من قبل أن يبعث حتى يحل عليه العذاب"[189].

من يؤمن من فتنة القبر:

ورد في الأخبار الصحاح، أن بعض الموتى لا تنالهم فتنة القبر، ولا يأتيهم الفتّانان، ولك على ثلاثة أوجه، مضاف إلى عمل، ومضاف إلى حال بلاءٍ نزل بالموت، كالجهاد والرّباط في سبيل الله، ومضاف إلى زمان[190]، والأحاديث الصحيحة الدالة على ذلك وردت في الشهيد والمرابط، وأما ما ذكر فيمن مات يوم الجمعة بأنه يؤمّن من فتنة القبر للحديث الذي روي عن عبد الله بن عمرو عن النبي (ﷺ) قال: "ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر"[191].

---

[189] – القرطبي، كتاب التذكرة، م1، ص123.

[190] – السيوطي، شرح الصدور، م1، ص128.

[191] – أحمد ابن حنبل، مسند أحمد، م2، ص169، حديث رقم 6582.

الشهيد:

ففي الحديث الذي يرويه راشد بن سعد عن رجل من أصحاب النبي (ﷺ)"أن رجلاً قال: يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال: كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة".[192]

يشير هذا الحديث إلى أنه لو كان في هؤلاء المقتولين نفاق، كان إذا التقى الزحفان، وبرقت السيوف فروا، لأنه من شأن المنافق الفرار والروغان عند ذلك، ومن شأن المؤمن البذل والتسليم لله نفساً وهيجان حمية الله، والتعصب له لإعلاء كلمته، فهذا قد أظهر ما في ضميره حيث برز للحرب والقتل، فلماذا يُعاد عليه السؤال في القبر"[193].

ويضيف القرطبي شخصاً آخر لا يفتن في قبره وهو الصّدّيق فيقول: إذا كان الشهيد لا يفتن فالصّدّيق أجلّ خطراً، وأعظم أجراً، فهو أحرى أن لا يفتن، لأنه المقدم ذكره في التنزيل على الشهداء، في قوله تعالى: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنعَمَ ٱللَّهُ عَلَيهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ[194]﴾. وقد جاء في المرابط الذي هو أقل مرتبة من الشهداء أنه لا يُفتن، فكيف بمن هو أعلى مرتبة منه ومن الشهيد؟ والله أعلم[195].

---

[192] – النسائي، سنن النسائي، كتاب الجنائز، الشهيد، م4، ص99، حديث رقم 2053.

[193] – القرطبي، كتاب التذكرة، م1، ص140.

[194] – سورة النساء، آية 69.

[195] – القرطبي، كتاب التذكرة، م1، ص140.

المرابط في سبيل الله:

وممن يؤمن من فتنة القبر المرابط في سبيل الله تعالى، فعن سلمان _ رضي الله عنه_ قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: "رباط يوم وليلة، خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه الذي كان يعمله، وأجرى عليه رزقه، وأمن الفتّان"[196].

وروي عن فضالة بن عبيد _رضي الله عنه_ أنه كان يحدّث عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: "كل ميت يختم على عمله، إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله، فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة، ويأمن من فتنة القبر"، وسمعت رسول الله (ﷺ) يقول: "المجاهد من جاهد نفسه"[197].

وعن أبي هريرة _ رضي الله عنه_ عن الرسول (ﷺ) قال: من مات مرابطاً في سبيل الله .... وبعثه الله يوم القيامة آمناً من الفزع"[198].

وأمان الشهيد والمرابط في سبيل الله من فتنة القبر، مكرمة منه سبحانه وتعالى لهم بعد قبض أرواحهم، لما يلاقونه من فتنة السيوف في ساحات الجهاد، والرباط في الثغور دفاعاً عن حياض الإسلام وديار المسلمين، ورد كيد الأعداء وجهادهم، وهذه بشرى الرسول (ﷺ) لكل مجاهد ومرابط في سبيل الله في ديار الإسلام والمسلمين.

قال عبد الجليل القصري في شعب الإيمان: المعنى في سؤال الملكين الفتانين في القبر أن الخلق في التزام الشرائع، وقبول الإيمان، لابد لهم من الاختيار لأمر الله، ومن النظر فيه، وفي أمر

---

[196] – مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرباط في سبيل الله، م3، 1520، حديث رقم 1913.

[197] – الترمذي، سنن الترمذي، كتاب فضائل الجهاد، باب فضل من مات مرابطاً، م4، ص165، حديث رقم 1621.

[198] – ابن ماجة، سنن ابن ماجة، كتاب الجهاد، باب فضل الرباط في سبيل الله، م2، ص924، حديث رقم 2767.

الرسل، وما جاءت به، وهو المعبر عنه بأول الواجبات عند عرض الشرائع على العقول، فيعتقد كل أحد في قلبه وسره على حسب ما قدر له حين تعترضهم أفكار النظر والفكر فيما جاءت به الرسل من أمور الغيب، فمن بين منكر جاحد أو شاك مرتاب، ومن بين مؤمن مصدق وموقن مطمئن ثابت، هذه حال الجميع، مدة الدنيا من أول ما وجبت عليهم الواجبات إلى حين الموت فلما حصل الخلق في الآخرة فتنوا بالجزاء عن عقائدهم، وأحوالهم، جزاءً وفاقاً، ولذلك يقول الملكان للمسئول: (قد علمنا أن كنت مؤمناً، ولا دريت لا تليت وعلى اليقين وعلى الشك حييت وعليه مت)[199]. على حسب اختلاف أسرار الخلق في الدنيا. ومعنى ذلك أن الرسل جاءت من عند الله، وفتحت للعقول أبواب دين الإسلام حين عرضته على العقول، وحين وجوب الواجبات، وأمرت بالدخول فيه، وأمرت بالتزام الطاعات، وترك المعاصي، وذكرت للعقول أن من التزم الطاعات جوزي بالجنة ودخلها.

ومن أعرض وأبى وقع في الكفر، ودخل النار، فمن بين داخل مفتوح له بدخوله في الإسلام والشرائع ومن بين خارج نافر، فيقال للعبد ذلك الوقت: (هذا مقعدك من الجنة أو النار أبدلك الله به مقعداً من النار أو الجنة)[200] كما صنع هو بنفسه في دار الدنيا[201].

وقال الباجي في شرح الموطأ: (ليس الاختبار في القبر بمنزلة التكليف والعبادة، وإنما معناه إظهار العمل، وإعلام بالمآل والعاقبة كاختبار الحساب لأن العمل والتكليف قد انقطع بالموت، قال

---

[199] – أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الزهد، باب ذكر القبر والبلى، رقم 4268 .

[200] – أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، رقم 1338.

[201] – كتاب التذكرة، ص107، ص118، ص131.

مالك: من مات فقد انقطع عمله وفتنة الرجل لمعنى التكليف والتعبد لكنه شبهها بها لصعوبتها وعظم المحنة بها وقلة الثبات معها[202].

أخرج الحكيم الترمذي بسنده عن حذيفة بن اليمان _رضي الله عنهما _ قال: في القبر حساب، وفي الآخرة حساب، فمن حوسب في القبر نجا، ومن حوسب في القيامة عذب[203]، وقال ابن أبي شيبة في المصنف: حدثنا عبد الرحيم بن سلمان عن مجالد عن محمد بن المنتشر عن ابن حراش عن حذيفة بن اليمان قال: (إن في القبر حساباً ويوم القيامة عذاباً)[204].

قال الحكيم الترمذي: إنما يحاسب المؤمن في القبر ليكون أهون عليه غداً في الموقف فيمحص في البرزخ ليخرج من القبر وقد اقتص منه[205].

سؤال الملكين هل مختص بهذه الأمة أو يكون لها ولغيرها.

هناك من قال من العلماء إن السؤال في القبر لأمة محمد (ﷺ) خاصة، ومنهم من قال أن السؤال عامٌ لكل الناس، وممن قال إن السؤال لهذه الأمة خاصة: أبو عبد الله الترمذي حيث قال: "وإنما سؤال الميت في هذه الأمة خاصة، لأن الأمم قبلها كانت الرسل تأتيهم بالرسالة، فإذا أبوا كفت الرسل، فاعتزلت، وعُجلوا بالعذاب، فلما بعث الله محمد (ﷺ) بعثه بالرحمة وأماناً للخلق، فقال﴿ وَمَآ

202– الحراني، تقي الدين أحمد بن تيمية، مجموع الفتاوي، م7، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ، م7، ص500.

203 – الحكيم الترمذي، نوادر الأصول، ص401، وأهوال القبور ص70.

204 – المصنف بلفظ مقارب، في عذاب القبر، م3، ص53 – ص54.

205 – فاتوي ابن تيمية، م7، ص500.

أَرسَلنَٰكَ إِلَّا رَحمَة لِّلعَٰلَمِينَ [206]﴾، فأمسك عنهم العذاب، وأعطى السيف، حتى يدخل في الإسلام من دخل، لمهابة السيف، ثم يرسخ في قلبه، فأمهلوا، فمن هنا ظهر أمر النفاق، فكانوا يسرون الكفر ويعلنون الإيمان، فكانوا بين المسلمين في ستر فلما ماتوا قيض لهم فتّانا القبر، ليستخرجا سرهم بالسؤال[207] قال تعالى: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجعَلَ ٱلخَبِيثَ بَعضَهُۥ عَلَىٰ بَعض فَيَركُمَهُۥ جَمِيعا فَيَجعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلخَٰسِرُون[208]﴾ و"الآثار الثابتة في هذا الباب إنما تنزل على أن الفتنة في القبر لا تكون إلا لمؤمن أو منافق ممن كان في الدنيا منسوباً إلى أهل القبلة ودين الإسلام فمن حقن دمه بظاهر الشهادة، وأما الكافر الجاحد المبطل فليس ممن يسأل عن ربه ودينه ونبيه، وإنما يسأل عن هذا أهل الإسلام[209].

" ومن أدلتهم قوله (ﷺ) : "إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا، لدعوتُ الله أن يُسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه "[210]... وهذا فيه اختصاص لهذه الأمة.

وممن قال بعموم المسألة لكل الناس عبد الحق الاشبيلي القرطبي، حيث قال: إن السؤال لهذه لا يدل هذا على اختصاص السؤال بهذه الأمة دون سائر الأمم، فإن قوله (ﷺ): "إن هذه الأمة"، إما أن يراد به أمة الناس، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّة فِي ٱلأَرضِ وَلَا طَٰٓئِر يَطِيرُ

---

[206] – سورة الأنبياء، الآية 107.

[207] – الحكيم الترمذي، محمد بن علي بن الحسن أبو عبد الله الحكيم الترمذي، نوادر الأصول في أحاديث الرسول، دار الجيل، بيرزت، ط1، 1992، م4، ص227 – ص228.

[208] – سورة الأنفال، آية 37.

[209]– القرطبي، أبي عمر عبد البر النمري، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد في حديث رسول الله (ﷺ)، م22، ط1، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي – مركز دراسات المخطوطات الإسلامية، 2017، ص252.

[210] – صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت، م4، ص2199، حديث رقم 2867.

بِجَنَاحَيهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمثَالُكُم[211]﴾ وكل جنس من أجناس الحيوان يسمّى أمة، وإن كان المراد به أمته (ﷺ) الذي بعث فيهم لم يكن فيه ما ينفي سؤال غيرهم من الأمم، بل قد يكون ذكرهم إخباراً بأنهم مسؤولون في قبورهم، وإن ذلك لا يختص بمن قبلهم لفضل هذه الأمة وشرفها على سائر الأمم، وكذلك قوله (ﷺ): "أوحي إلي أنكم تفتنون في قبوركم وكذلك إخباره عن قول الملكين: "ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟"هو إخبار لأمته بما تمتحن به في قبورها[212].

" وفي قول ثالث ذهب إليه ابن عبد البر وهو التوقف في سؤال أمة محمد (ﷺ) ،أو غيرها، ويتبين لنا ذلك بعد تعقيبه على حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه، عن النبي(ﷺ) أنه قال:" إن هذه الأمة تبتلى في قبورها " وهو أمر لا يقطع عليه[213].

قال ابن القيم: "والظاهر والله أعلم أن كل نبي مع أمته كذلك،وأنهم معذبون في قبورهم بعد السؤال لهم، وإقامة الحجة عليهم، كما يعذبون في الآخرة بعد السؤال وإقامة الحجة، والله سبحانه وتعالى أعلم ".[214]

واستدل ابن القيم على أن السؤال في القبر عام للمؤمن والكافر"،وقال:"القرآن والسنة تدل على خلاف ما ذهب إليه أبو عبد الله الترمذي، وأن السؤال للكافر والمسلم قال تعالى ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلقَولِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلحَيَوٰةِ ٱلدُّنيَا وَفِي ٱلأٓخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفعَلُ ٱللَّهُ مَا

[211] – سورة الأنعام، الآية 38.

[212] – القرطبي، كتاب التذكرة، م1، ص112.

[213] – مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض معقد الميت، م4، ص2199، حديث رقم 2867.

[214] – ابن القيم، كتاب الروح، م1، ص109.

يَشَآءُ[215]﴾ وقد ثبت في الصحيح أنها نزلت في عذاب القبر حين يسأل من ربك؟، وما دينك؟، ومن نبيك؟[216]

وفي الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه،عن النبي (ﷺ) أنه قال:"...وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟، فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ويضرب بمطرقة من حديد، يصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين"[217]

إذا ففتنة القبر وسؤاله واقعان للمؤمنين والمنافقين والكافرين، لما دلت عليه الآثار والله أعلم.

وأما بخصوص فتنة القبر لغير المكلفين فقد اختلف العلماء فيها على ثلاثة أقوال .

القول الأول: "أنهم يمتحنون، وهو قول أكثر أهل السنة، ذكره أبو الحسن بن عبدوس يقول عنهم: (4 (ومن أدلتهم ما يرويه يحيى بن سعيد، أنه قال: سمعت سعيد بن المسيِّب يقول: "وهذا صليت وراء أبي هريرة على صبيّ لم يعمل خطيئة قط فسمعته يقول: اللهم أعذه من عذاب القبر، وهذا يدل على أنه يفتن، وأيضاً فهذا مبنيٌ على أن أطفال الكفار الذين لم يكلفوا في الدنيا، يكلفون في الآخرة، فإذا امتحنوا في الآخرة لم يمتنع امتحانهم في القبور[218].

قال القرطبي: حكم الصغار كالبالغين، يكمل العقل لهم ليعرفوا بذلك منزلتهم وسعادتهم ويلهمون الجواب عما يسألون عنه[219].

ولم يعرض أصحاب هذا القول ما يثبت صحة ما ذهبوا إليه بتكليف الصغار بعد الموت.

---

215 – سورة ابراهيم، آية 27.

216 – البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت، م4، ص1735، حديث رقم 4422.

217 – البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، م1، ص462، حديث رقم 1308.

218 – ابن تيمية، مجموع الفتاوي، م4، ص280 – ص281.

219 – القرطبي، كتاب التذكرة، م1، ص119.

أما القول الثاني: أنهم لا يمتحنون في قبورهم، ذكر هذا القول القاضي أبو يعلي وقال: لأنه المحنة إنما تكون لمن يكلف في الدنيا[220].

وقال أصحاب هذا القول: "السؤال إنما يكون لمن عقل الرسول والمرسل، والطفل لا تمييز له بوجه ما، فكيف يقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ ولو رد إليه عقله في القبر فإنه لا يسأل عما لم يتمكن من معرفته والعلم به، ولا فائدة في هذا السؤال، وهذا بخلاف امتحانهم في الآخرة، فإن الله سبحانه يرسل إليهم رسولاً ويأمرهم بطاعة أمره وعقولهم معهم، فمن أطاعه منهم نجا، ومن عصاه أدخله النار، فذلك امتحان بأمر يأمرهم به يفعلونه ذلك الوقت لا أنه سؤال عن أمر مضى لهم في الدنيا من طاعة أو عصيان، كسؤال الملكين في القبر.

وأما حديث أبي هريرة _رضي الله عنه_ فليس المراد بعذاب القبر فيه عقوبة الطفل على ترك طاعة أو فعل معصية قطعاً، فإن الله لا يعذب أحداً بلا ذنب عمله، بل عذاب القبر قد يراد به الألم الذي لم يحصل للميت بسبب غيره وإن لم يكن عقوبة على عمل عمله، ومنه قوله (ﷺ): "إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه"[221]، أي يتألم بذلك ويتوجع منه لا أنه يعاقب بذنب الحيّ: ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى[222]﴾

وفي القبر من الآلام والهموم والحسرات ما قد يسري أثره إلى الطفل فيتألم به، فيشرع للمصلي عليه أن يسأل الله تعالى أن يقيه ذلك العذاب[223].

---

[220] – ابن تيمية، مجموع الفتاوي، م4، ص281.

[221] – البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب قوله (ﷺ): "يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه"، إذا كان النوح من سنته، م1، ص432، حديث رقم 1226، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

[222] – سورة الأنعام، آية 164.

[223] – ابن القيم، كتاب الروح، م1، ص110.

وأما القول الثالث: ففيه

ففيه الوقف في أطفال المشركين، وهو مرويٌّ عن الإمام أحمد بن حنبل "ودليلهم في ذلك ما يرويه أبو هريرة _رضي الله عنه_، قال: "قال رسول (ﷺ): " مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، وَيُنَصِّرَانِهِ، كَمَا تُنْتِجُونَ الإبل، هَلْ تَجِدُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟، حَتَّى تَكُونُوا أَنْتُمْ تَجْدَعُونَهَا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَرَأَيْتَ مَنْ يَمُوتُ وَهُوَ صَغِيرٌ؟، قَالَ: اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِين"[224]

وعن ابن عباس _رضي الله عنهما_ قال: سئل رسول الله (ﷺ) عن أطفال المشركين، قال: "الله أعلم إذ خَلَقهم بما كانوا عاملين "[225] .

فغير المكلفين لا يمتحنون في قبورهم في حياة البرزخ، لا يكون حالهم كالبالغين والعاقلين المميزين، وما يلاقونه في قبورهم ليس من قبيل العذاب، وإنما أمورٌ تصيب كل من يدخل حياة البرزخ من المؤمنين، يخففها الله تعالى عليهم، والله أعلم.

فتح باب إلى الجنة وباب إلى النار

إذا دُفِنَ العبد، وتم سؤاله يعرض عليه مقعده، فإن كان من أهل الجنة عرض عليه مقعده من الجنة، وإن كان من أهل النار عرض عليه مقعده من النار، ومما استدل به العلماء في ذلك قوله تعالى:

[224] – البخاري، صحيح البخاري، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، م4، ص2047، حديث رقم 2658.

[225] – البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، م1، ص465، حديث رقم 1317.

﴿ ٱلنَّارُ يُعرَضُونَ عَلَيهَا غُدُوّا وَعَشِيّا وَيَومَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدخِلُوٓاْ ءَالَ فِرعَونَ أَشَدَّ ٱلعَذَابِ[226]﴾، أي أن آل فرعون يدخلون جهنم من يوم مماتهم بأرواحهم، وينال أجسامهم في قبورها من حرّها وسمومها، فإذا كان يوم القيامة سلكت أرواحهم في أجسادهم، وخلدت في نار جهنم، وهذا العرض في البرزخ[227].

فأخبر تعالى أن الكافرين يعرضون على النار، كما أن أهل السعادة يعرضون على الجنان بالخبر الصحيح، وهل كل مؤمن يعرض على الجنان؟ فقيل: ذلك مخصوص بالمؤمن الكامل الإيمان، ومن أراد الله إنجاءه من النار، وأما من أنفذ الله عليه وعيده من المخلطين، الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً فله مقعدان يراها جميعاً كما أنه يرى عمله شخصين في وقتين أو في وقت واحد قبيحاً وحسناً، وقد يحتمل أن يراد بأهل الجنة كل من يدخلها كيفما كان، والله أعلم، وقيل: إن هذا العرض إنما هو على الروح وحدها، ويجوز أن يكون مع جزء من البدن، ويجوز أن يكون عليه مع جميع الجسد فيرد إليه الروح كما ترد عند المسألة حين يقعده الملكان، ويقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة[228].

وكيفما كان فإن العذاب محسوس، والألم موجود، والأمر شديد، وقد ضرب بعض العلماء لتعذيب الروح مثلاً في النائم، فإن روحه تعذب أو تنعم والجسد لا يحس بشيء من ذلك.

---

[226] – سورة غافر، آية 46.

[227] – القرطبي، تفسير القرطبي، 287/15.

[228] – القرطبي، التذكرة، ج1، ص141 – ص142.

الميت يعذب ببعض بكاء أهله عليه

عن المغيرة _ رضي الله عنه_ قال: سمعت النبي (ﷺ) يقول: "إن كذباً عليّ ليس ككذب على أحد، من كذب عليّ متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار"، وسمعت النبي (ﷺ) يقول: "من نيح عليه يعذب بما نيح عليه"[229].

وهنا لابد من التذكير بما يقول الجمهور: "إن هذا محمول على من أوصى بالبكاء، والنوح، أو من لم يوص بتركهما، فمن أوصى بهما، أو أهمل الوصية بتركهما، يعذب بهما، لتفريطه بإهمال الوصية بتركهما، فأما من وصى بتركهما فلا يعذب بهما، إذ لا صنع له فيهما ولا تفريط منه"[230].

قال القرطبي: الجمهور على أن هذا العرض "غدواً وعشياً" يكون في البرزخ قبل يوم القيامة: ومنها قوله تعالى: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلعَذَابِ ٱلأَدنَىٰ دُونَ ٱلعَذَابِ ٱلأَكبَرِ لَعَلَّهُم يَرجِعُونَ[231]﴾. وقد احتج بهذه الآية جماعة منهم عبدالله بن عباس على عذاب القبر، وفي الاحتجاج بها شيء لأن هذا في عذاب الدنيا يستدعي به رجوعهم عن الكفر، ولم يكن هذا مما يخفى على حبر الأمة وترجمان القرآن، لكن من فقه في القرآن ودقة فهمه منها عذاب القبر، فإنه _سبحانه وتعالى_ أخبر أن له فيهم عذابين أدنى وأكبر فأخبر أنه يذيقهم بعض الأدنى ليرجعوا، فدل على أنه بقي لهم من الأدنى بقية

---

[229] – البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت، واللفظ منه، ج434/1، حديث رقم 1229.

[230] – النووي، شرح النووي على مسلم، ج6، ص228 – ص229.

[231] – سورة السجدة، آية 21.

يعذبون بها بعد عذاب الدنيا، ولهذا قال: من العذاب الأدنى ولم يقل، ولنذيقنهم من العذاب الأدنى فتأمله[232].

ومن ذلك يتبين ثبوت عذاب البرزخ ونعيمه من الكتاب والسنة ولقد أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو: اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر"[233].

حدثنا عبدان، حدثنا عبد الله، أخبرنا ابن جريج قال: أخبرني عبد الله بن عبيد الله بن أبي مُليكة، قال: توفيت ابنةٌ لعثمان _رضي الله عنه بمكة، وجئنا لنشهدها وحضر ابن عُمَرَ، وابن عباسٍ _رضي الله عنهم_، وإني لجالسٌ بينهما، أو قال: جلستُ إلى أحدِهما، ثم جاء الآخر فجلس إلى جنبي، فقال عبد الله بن عمر _رضي الله عنهما_ لعمرو بن عُثمان: ألا تنهى عن البكاء فإن رسول الله (ﷺ) قال: "إن الميت ليعذب ببكاء أهلهِ عليه"[234].

وأنكرت عائشة، على ابن عمر _رضي الله عنهما_ بحديث أخرجه مسلم_ رحمه الله_ قال فيه: حدثنا قتيبة بن سعيد، عن مالك بن أنس، فيما قرئ عليه، عن عبد الله بن أبي بكر، عن أبيه، عن عمرة بنت عبد الرحمن، أنها أخبرته أنها سمعت عائشة، وذكر لها أن عبد الله بن عمر يقول: إن الميت ليُعذب ببكاء الحيّ، فقالت عائشة: يغفر الله لأبي عبد الرحمن أما إنه لم يكذب ولكنه نسي

232 – ابن القيم، كتاب الروح، ص93.

233 – البخاري، صحيح البخاري، كتاب الآذان، باب الدعاء قبل السلام، م2، ص317.

234 – صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه، م2، ص641، حديث رقم 928.

أو أخطأ، إنما مرَّ رسول الله (ﷺ) على يهودية يُبكى عليها، فقال: "إنهم ليبكون عليها، وإنها لتُعذب في قبرها"[235].

اختلف العلماء في تعذيب الميت ببكاء أهله عليه، مع إجماعهم على اختلاف مذاهبهم أن المراد من البكاء هنا البكاء بصوت ونياحة، لا مجرد دمع العين[236].

ما ينجي من عذاب القبر:

الذي ينجي العبد من عذاب القبر أن يكون مستعداً للموت، مشمّرا له، مجتهداً بالطاعات حتى إذا فاجأه الموت استبشر برحمة الله تعالى عليه، وغفران الله تعالى سبحانه لذنوبه، فلا يندم، ولا يخاف من انتهاء أجله، ومن الاستعداد للموت الإسراع في التوبة، وقضاء الحقوق، والإكثار من الأعمال الصالحة، فإن الإيمان والصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد وبر الوالدين، وصلة الأرحام وذكر الله عزَّ وجل، وغيرها من صالح الأعمال تحفظ العبد المؤمن، وبها يجعل الله له من كل ضيق فرجاً ومن كل همٍ مخرجا .أما الأسباب المنجية، ويمكن إجمالها في تجنب تلك الأسباب التي تقتضي عذاب القبر، ومن أنفعها أن يجلس الرجل عندما يريد النوم لله ساعة، يحاسب نفسه فيها على ما خسره وربحه في يومه، ثم يجدد له توبة نصوحاً بينه وبين الله فينام على تلك التوبة، ويعزم على أن لا يعاود الذنب إذا استيقظ، ويفعل هذا كل ليلة، فإن مات من ليلته مات على توبة، وإن استيقظ، استيقظ مستقبلاً للعمل مسروراً بتأخير أجله حتى يستقبل ربه ويستدرك ما فاته، وليس للعبد أنفع من

---

235 – الترمذي، أبواب الجنائز، عن رسول الله (ﷺ) باب ما جاء في الرخصة في البكاء على الميت، م3، ص320، حديث رقم 1006.

236 – شرح النووي، على مسلم، م6، ص229.

هذه النَّوْمَة ولا سيما إذا عقب ذلك بذكر الله، واستعمال السنن التي وردت عن رسول الله (ﷺ) عند النوم حتى يغلبه النوم، فمن أراد الله به خيراً وفقه لذلك، ولا قوة إلا بالله[237].

وورد في السنة النبوية أحاديث عن رسول الله (ﷺ)، تبين أسباب النجاة من عذاب القبر منها:

أولاً: الرباط في سبيل الله تعالى:عن شرحبيل بن السّمط عن سَلْمان الفارسي رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول:" رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفَتَّانَ[238]".

ثانياً: الموت بمرض البطن: عن عبد الله بن يسار قال: كنت جالساً وسليمان بن صُرَدٍ، وخالد بن عرفطة فذكروا أن رجلاً توفِّي، مات ببطنه، فإذا هما يشتهيان أن يكونا شهداء جنازته، فقال أحدهما للآخر: أَلَمْ يقلْ رسول الله (ﷺ):" "مَنْ يَقْتُلْهُ بَطْنُهُ، فَلَنْ يُعَذَّبَ فِي قَبْرِهِ"، فَقَالَ الْآخَرُ: بَلَى[239].

ثالثاً: الأعمال الصالحة: عن محمد بن المنكدر قال: كانت أسماء _رضي الله عنها_، تحدّث عن النبي (ﷺ)، قالت: (قال(ﷺ)" :إِذَا دَخَلَ الْإِنْسَانُ قَبْرَهُ، فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا أَحَفَّ بِهِ عَمَلُهُ الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ الْمَلَكُ مِنْ نَحْوِ الصَّلَاةِ فَتَرُدُّهُ، وَمِنْ نَحْوِ الصِّيَامِ فَيَرُدُّهُ، قَالَ: فَيُنَادِيهِ، اجْلِسْ، قَالَ: فَيَجْلِسُ، فَيَقُولُ لَهُ :مَاذَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ– يَعْنِي النَّبِيَّ(ﷺ)–؟، قَالَ: مَنْ؟، قَالَ: مُحَمَّدٌ(ﷺ) ،قَالَ: أَنَا أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ(ﷺ)، قَالَ: يَقُولُ: وَمَا يُدْرِيكَ؟، أَدْرَكْتَهُ؟، أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّه(ﷺ)، قَالَ: يَقُولُ: عَلَى ذَلِكَ عِشْتَ، وَعَلَيْهِ مِتَّ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ، قَالَ: وَإِنْ كَانَ فَاجِرًا، أَوْ كَافِرًا، قَالَ: جَاءَ الْمَلَكُ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ شَيْءٌ يَرُدُّهُ، قَالَ: فَأَجْلَسَهُ، قَالَ: يَقُولُ: اجْلِسْ، مَاذَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ(ﷺ)؟، قَالَ:

---

[237] – ابن القيم، كتاب الروح، م1، ص99.

[238] – مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرباط في سبيل الله عز وجل، م2، ص1520، حديث رقم 1913.

[239] – النسائي، سنن النسائي، كتاب الجنائز، باب من قتله بطنه، _اللفظ منه_ م4، ص98، حديث رقم 2052.

أَيُّ رَجُلٍ؟، قَالَ :مُحَمَّدٌ (ﷺ)، قَالَ: يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ، قَالَ: فَيَقُولُ لَهُ الْمَلَكُ: عَلَى ذَلِكَ عِشْتَ، وَعَلَيْهِ مِتَّ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ"[240].

رابعاً: القتل في سبيل الله تعالى: "الشهادة "عن المقدام بن مَعْد يكرب _رضي الله عنه_، قال: قال رسول الله (ﷺ): "للشهيد عند الله ست خصال يغفر له في أول دفعه، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر ويأمن الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه[241]"

خامساً: قراءة سورة الملك: عن عبد الله ابن مسعود _رضي الله عنه_ قال: يُؤتى الرجل في قبره، فتؤتى رجلاه، فتقول رجلاه: ليس لكم على ما قبلي سبيل، كان يقوم يقرأ بي سورة الملك، ثم يؤتى من قبل صدره أو قال بطنه فيقول: ليس لكم على ما قبلي سبيل كان يقرأ بي سورة الملك، ثم يؤتى رأسه، فيقول: ليس لكم على ما قبلي سبيل كان يقرأ بي سورة الملك، قال: فهي المانعة، تمنع من عذاب القبر، وهي في التوراة سورة الملك، من قرأها في ليلة فقد أكثر وأطنب[242] "

وعن عبد الله بن مسعود _رضي الله عنه_، قال: قال رسول الله (ﷺ):"سورة تبارك هي المانعة من عذاب القبر[243] ".

وعن أبي هريرة عن النبي قال:" إن سورة من القرآن ثلاثون آية، شفعت لرجل حتى غفر له، وهي سورة تبارك الذي بيده الملك"[244].

[240] – ابن حنبل، مسند أحمد، م6، ص252، حديث رقم 27021.

[241] – الترمذي، سنن الترمذي، كتاب فضائل الجهاد، باب في ثواب الشهيد، م4، ص935، حديث رقم 2799.

[242] – الترمذي، سنن الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة الملك، م5، ص164، حديث رقم 2890.

[243] – المتقي الهندي، علي بن حسام الدين، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، مؤسسة الرسالة، بيروت.

[244] – الترمذي، سنن الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة الملك، م5، ص164، حديث رقم 2891.

سادساً: الموتُ يوم الجمعة:

ثبت عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله (ﷺ): " مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، أَوْ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، إِلَّا وَقَاهُ اللَّهُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ "[245].

سابعاً: الاستعاذة بالله تعالى من فتنة القبر وعذاب القبر:

لما كانت فتنة القبر وعذاب القبر من الأهوال العظيمة، والشدائد القاسية، فإن الرسول (ﷺ) كان يستعيذ من عذاب القبر، وفتنته في صلاته، وفي غير صلاته، وكان كثير الاستعاذة منهما، وكان يأمر أصحابه بذلك، رجاءً لله سبحانه بأن يعيذهم من عذاب القبر، وأن يثبتهم عند فتنته، ووردت أحاديث متعددة فيها استعاذة الرسول (ﷺ) من عذاب القبر وفتنته منها :

عن أبي هريرة _رضي الله عنه_، قال: قال رسول الله (ﷺ): " إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا، وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ."[246].

وعن زيد بن أرقم _رضي الله عنه_، قال: لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله (ﷺ) يقول: " اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَعَذَابِ الْقَبر "[247].

[245] – الترمذي، سنن الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن مات يوم الجمعة، م3، ص386، حديث رقم 664.

[246] – البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر، م1، ص363، حديث رقم1311.

[247] – مسلم، صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، م4، ص288، حديث رقم 2722.

الفصل الثالث:

منكرو عذاب القبر والأدلة من القرآن والسنة على إثبات عذاب القبر ونعيمة

فهرس الفصل

- منكرو عذاب القبر والرد عليهم

- الجواب على منكري عذاب القبر

- العذاب الجسمي للعصاة في القبر والذنوب التي تم معاقبتهم عليها

منكرو عذاب القبر والرد عليهم

إن الجزء الآخروي بعد الموت يتم على مراحل، ومن هذه المراحل مرحلة القبر وما فيه من سؤال ونعيم أو عذاب، ولا شك أن الإيمان بذلك بساعد على الالتزام بطاعة الله تعالى ويعين على الابتعاد عن معصيته، وقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن الإنسان يُسأل في قبره ويُنعَّم أو يُعَذَّب فيه وأن ذلك يقع على الروح والجسد معاً، وخالف في ذلك قليل من العلماء، اختلفوا فيما بينهم على عدة أقوال وهي:

1. نفاه مطلقاً بعض الخوارج وبعض المعتزلة كضرار بن عمرو، وبشر المريسي، واستدلوا لما ذهبوا إليه بما يلي[248]:

أ. قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ[249]﴾. وأجاب الجمهور: بأن هذه الآية معناها أن الله هو الذي يسمعهم فهي مثل قوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ[250]﴾. أي أن الله هو الذي يسمع ويهدي، أو أن معنى الآية التي احتجوا بها أنك لا تسمعهم سماعاً ينفعهم، أو لا تسمعهم إلا أن يشاء الله.

ب. أننا نرى شخصاً يصلب ويبقى مصلوباً إلى أن تذهب أجزاؤه ولا نشاهد فيه إحياء ولا مساءلة، وكيف يعذب من أكلته السباع والطيور وتفرقت أجزاؤه في بطونها، ومن أُحرق حتى يفتت ثم تُذرى أجزاؤه في الرياح. وأجاب الجمهور: بأن ذلك لا يمنع تعذيبه، ولا يستعصي على قدرة الله تعالى، فهو قادر على أن يعيد الحياة إلى جزء

---

248 - البهيقي، أبي بكر أحمد بن الحسين، إثبات عذاب القبر، ط1، دار الفرقان، 1983، ص8 – ص11.

249 - سورة فاطر، آية22.

250 - سورة الزخرف، آية 40.

من الجسد ويقع عليه السؤال كما هو قادر على أن يجمع أجزاءه بعد تفرقها، وهو قادر أيضاً على أن يوقع العذاب على أجزائه وهي متفرقة ويُشعر الروحَ بهذا العذاب. وهذه الأدلة التي ذكروها لا تقف أمام الآيات والأحاديث المتواترة.

2. قال جماعة من الكرامية يقع على الجسد فقط، وأن الله يخلق فيه إدراكاً بحيث يسمع ويعلم ويلذ ويألم.

واستدلوا بقصة مخاطبة النبي (ﷺ) لأصحاب القليب في بدر، فقد كان يخاطبهم قبل أن تعود الروح إليهم، وكانوا يسمعونه، وهكذا يكون السؤال في القبر. وأجاب الجمهور بأن هذا لا يصلح دليلاً لما يدّعونه، والأحاديث الصحيحة الكثيرة بخلاف ذلك، وهي تنص على الإقعاد والمخاطبة، وإجابة الإنسان على أسئلة الملكين وغير ذلك مما يدل على وجود الروح.

3. وقال ابن حزم وابن هبيرة إن السؤال يقع على الروح فقط واستدلوا بأن الميت قد يشاهد في قبره حال المسألة ولا أثر فيه من إقعاد ولا غيره، ولا ضيق في قبره ولا سعة. وأجاب الجمهور: بأن ذلك غير ممتنع في قدرة الله تعالى، بل له نظير في العادة وهو النائم، فإنه يجد لذة وألماً لا يدركه من يشاهده، بل إن اليقظان قد يدرك ألماً ولذة لما يفكر به ولا يدرك ذلك جليسه، والمريض يتألم بجسمه ولكننا لا ندرك ذلك إلا إذا صرخ من الألم مثلاً. وقد كان جبريل _عليه السلام_ يأتي إلى رسول الله (ﷺ) وأصحابه حضور فيراه رسول الله (ﷺ) ولا يراه أحد من أصحابه. والظاهر أن الله تعالى صرف أبصار العباد وأسماعهم عن مشاهدة ذلك فلا يسمعه الثقلان إلا من شاء الله.

4. قال أبو الهذيل ومن تبعه إن الميت لا يشعر بالتعذيب ولا بغيره إلا بين النفختين، فهو كالنائم والمغشي عليه لا يحس بالضرب إلا بعد الإفاقة، وليس لهم دليل على ذلك فيما أعلم، والأحاديث بخلافه.

5. قال بعض المعتزلة: إنه يقع على الكفار دون المؤمنين. واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ، ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ[251]﴾. وأجاب الجمهور: بأن ذلك لا يعني عدم وقوعه على المؤمنين، وأحاديث عذاب القبر في البول والغيبة، وقد خصص البهيقي _رحمه الله_ باباً في تخويف أهل الإيمان من عذاب القبر.

6. قال بعضهم: يُسأل المؤمن والمنافق، وأما الكافر فلا يُسأل، واستدلوا بما رواه عبد الرزاق من طريق عبد بن عمير أحد كبار التابعين قال: إنما يفتن رجلان: مؤمن ومنافق، وأما الكافر فلا يسأل عن محمد ولا يعرفه. وأجاب الجمهور: بأن هذا موقوف، والأحاديث الناصَّة على أن الكافر يسأل مرفوعة مع كثرة طرقها الصحيحة فهي أولى بالقبول. وأما أدلة الجمهور فهي كثيرة جداً منها:

أ. قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ[252]﴾. قال ابن عباس وغيره: هذا عند الموت، والبسط هو الضرب، يضربون وجوههم وأدبارهم.

---

[251] - سورة غافر، آية 45 – 46.

[252] - سورة غافر، آية 93.

ب. قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ[253]﴾ وهذا العذاب وإن كان قبل الدفن فهو من جملة العذاب الواقع قبل يوم القيامة، والعذاب إنما أضيف إلى القبر لكون معظمه يقع فيه.

ج. قوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ[254]﴾. قال الطبري بعد أن ذكر الخلاف في ذلك: والأغلب أن إحدى المرتين عذاب القبر، والثانية إما الجوع أو السبي أو القتل أو الإذلال أو غير ذلك.

د. قوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ، ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ[255]﴾. قال القرطبي: الجمهور على أن هذا العرض يكون في البرزخ.

ه. قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابٗا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ[256]﴾. أي عذاباً قبل يوم القيامة، وهو إما في الدنيا أو في القبر.

كما قال منكرو عذاب القبر: فإنّا نكشف القبر، فلا نجد فيه ملائكة عُمْياً صُمّاً يضربون الموتى بمطارق الحديد، ولا نجد هناك حيّات ولا ثعابين ولا نيراناً تأجّجُ. ولو كشفنا حاله في حالة من الأحوال لوجدناه لم يتغير. ولو وضعنا على عينه الزئبق، وعلى صدره الخردل، لوجدناه على حاله. وكيف يُفسَح له مدَّ بصرهِ، أو يُضيَّق عليه، ونحن نجده بحاله، ونجد مساحته على حدّ ما حفرناها، لم تزِد ولم تنقص؟ وكيف يَسَعُ ذلك اللحد الضيّق له وللملائكة وللصورة التي تؤنسه أو توحشه؟

---

[253] - سورة الأنفال، آية 50.

[254] - سورة التوبة، آية 101.

[255] - سورة غافر، آية 45 – 46.

[256] - سورة الطور، آية 47.

وقال إخوانهم من أهل البدع والضلال: وكل حديث يخالف مقتضى العقول والحس يُقطع بتخطئة ناقليه، قالوا: ونحن نرى المصلوب على خشبته مدّة طويلة، لا يسأل ولا يجيب، ولا تحرّك، ولا يتوقَّد جسمه ناراً، ومن افترسته السباع، ونهشته الطيور، وتفرّقت أجزاؤه في أجواف السباع، وحواصل الطيور، وبطون الحيتان، ومدارج الرياح، كيف تُسأل أجزاؤه مع تفرقها؟ وكيف يُتصوَّر مسألة الملكين لمن هذا وصفُه؟ وكيف يصير القبر على هذا روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار؟ وكيف يضيق عليه حتى تلتئم أضلاعه؟ ونحن نذكر أموراً يُعلم بها الجواب:

الأمر الأول: أن يُعلم أنّ الرسل _ صلوات الله وسلامه عليهم_ لم يخبروا بما تُحيله العقول، وتقطع باستحالته. بل أخبارهم قسمان: أحدهما: ما تشهد به العقول والفِطَر. والثاني: ما لا تدركه العقول بمجرّدها، كالغيوب التي أخبروا بها عن تفاصيل البرزخ واليوم الآخر، وتفاصيل الثواب والعقاب. ولا يكون خبرهم محالاً في العقول أصلاً. وكل خبر يُظن أن العقل يُحيله، فلا يخلو من حد أمرين: إما أن يكون الخبر كذباً عليهم، أو يكون ذلك العقل فاسداً. وهو شبهة خيالية يظنُّ صاحبها أنها معقول صريح. قال تعالى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ[257]﴾. وقال أيضاً: ﴿ أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ[258]﴾.

وقال _سبحانه وتعالى_: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَۖ وَمِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ مَن يُنكِرُ بَعۡضَهُۥۚ[259]﴾ والنفوس لا تفرح بالمحال.

[257] - سورة سبأ، الآية 6.

[258] - سورة الرعد، آية 19).

[259] - سورة الرعد، آية 36.

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ. قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ[260]﴾ والمحال لا يشفي، ولا يحصل به هدى ولا رحمة، ولا يُفرَح به. هذا أمر من لم يستقر في قلبه خير، ولم يثبت له على الإسلام قدم، وكان أحسن أحواله الحيرة والشكّ.

الأمر الثاني: أن يُفهم عن الرسول (ﷺ) مراده من غير غلو ولا تقصير، فلا يُحمَّلُ كلامه ما لا يحتمله، ولا يُقَصَّرَ به عن مراده وما قَصَدَهُ من الهدى والبيان، وقد حصل بإهمال ذلك والعدول عنه من الضلال والعدول عن الصواب ما لا يعلمه إلا الله. بل سوءُ الفهم عن الله ورسوله أصلُ كلِّ بدعة وضلالة نشأت في الإسلام، بل هو أصلُ كل خطأ في الأصول والفروع، لا سيّما أن أضيف إليه سوءِ القصد، فيتفق سوءِ الفهم في بعض الأشياء من المتبوع مع حُسن قَصدِه، وسوءِ القصد من التابع، فيا محنةَ الدين وأهلِهِ والله المستعان.

الأمر الثالث: أن الله سبحانه جعل الدُّورَ ثلاثةً: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، وجعل لكل دار أحكاماً تختص بها، وركَّب هذا الإنسان من بدن ونفس، وجعل أحكام دار الدنيا على الأبدان، والأرواح تبعٌ لها، ولهذا جعل أحكامه الشرعية مرتَّبة على ما يظهر من حركات اللسان والجوارح، وإن أضمَرت النفوسُ خلافه. وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبعٌ لها، فكما تبعت الأرواح الأبدان في أحكام الدنيا، فتألمت بألمها، والتذَّت براحتها، وكانت هي التي باشرت أسباب النعيم والعذاب، تبعت الأبدان الأرواح في نعيمها وعذابها، والأرواح حينئذٍ هي التي تباشر العذاب والنعيم.

[260] - سورة يونس، آية 57 – 58.

وقد أرانا الله سبحانه بلطفه ورحمته وهدايته من ذلك أنموذجاً في الدنيا من حال النائم، فإنّ ما يُنعم به أو يُعذّب في نومه يجري على روحه أصلاً.

الأمر الرابع: أن الله _سبحانه وتعالى_ جعل أمر الآخرة وما كان متصلاً بها غيباً، وحجبها عن إدراك المكلّفين في هذه الدار، وذلك من كمال حكمته، وليتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم، فأول ذلك أنَّ الملائكة تنزل على المحتضرين ......

حدثنا عبد الله قال: حدثني إبراهيم أبو إسحاق الأدمي قال: حدثنا مسلم بن إبراهيم قال: حدثنا حراش بن مالك الجهني، عن عبد الملك بن أبي عثمان، عن مسلمة بن عبد الملك قال: لما احتضر عمر بن عبد العزيز كنا عنده في قُبَّة، فأومأ إلينا أن اخرجوا، فخرجنا، فقعدنا حول القُبَّة، وبقي عنده وصيفٌ، فسمعناه يقرأ هذه الآية: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْأٓخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًاۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ[261]﴾. ما أنتم بإنس] ولا جان، ثم خرج الوصيف، فأومأ إلينا أن ادخلوا، فدخلنا فإذا هو قد قُبِض[262].

الأمر الخامس: أن النار التي في القبر والنعيم، ليس من جنس نارِ الدنيا ولا نعيمها، وإن كان الله تعالى يحمي عليه التراب والحجارة التي فوقه وتحته حتى يكون أعظم حرّاً من جمر الدنيا، ولو مسّها أهل الدنيا لم يُحسّوا بها، بل أعجب من هذا أن الرجلين يدفنان أحدُهُما إلى جنب صاحبه، وهذا في حُفرة من حُفَرِ النار، وهذا في روضة من رياض الجنة، لا يصل من هذا إلى جاره شيء من حر ناره، ولا من هذا إلى جاره شيء من نعيمه، وقدرة الله أوسع من ذلك وأعجب، ولكن النفوس

[261] - سورة القصص، آية 83.

[262] - بن محمد، أبي بكر عبد الله، كتاب المحتضرين، ط1، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1997، ص84 – ص85.

مولعة بالتكذيب بما لم تحط به علماً، وقد أرانا الله في هذه الدار من عجائب قدرته ما هو أبلغُ من هذا بكثير، وإذا شاء الله أن يُطلِع على ذلك بعض عباده أطلعه، وغيَّبه عن غيره، ولو أطلع اللهُ على ذلك العباد كلهم، لزالت حكمة التكليف والإيمان بالغيب، ولما تدافن الناس، كما في الصحيح عنه (ﷺ) "حدثنا يحيى بن أيوب وأبو بكر بن أبي شيبة. حميعاً عن ابن عُلَيَّة. قال ابن أيوب: حدثنا ابنُ عُلَيّة. قال: وأخبرنا سعيد الجريري عن ابن نضرة، عن أبي سعيد الخدري، عن زيد بن ثابت، قال أبو سعيد: ولم أشهدهُ من النبي (ﷺ). ولكن حدثنيه زيد بن ثابت قال: بينما النبي (ﷺ) في حائطٍ لبني النّجار، على بغلةٍ له، ونحن معهُ، فإذا حادت به فكادت تُلقيه. وإذا قبرُ سِتَّة أو خمسة أو أربعةٌ (قال: كذا كان يقول الجريري) فقال: من يعرف أصحاب هذه الأقبُر؟ فقال رجلٌ: أنا. قال"فمتى ماتوا هؤلاء؟ قال: في الإشراك فقال: إن هذه الأمة تبتلى في قبورها. فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه، ثم أقبل علينا بوجهه فقال، تعوذوا بالله من عذاب النار، قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار. فقال تعوذوا بالله من عذاب القبر، قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر"[263].... إلى آخر الحديث. ولما كانت هذه الحكمة منتفية في حق البهائم سمعت ذلك وأدركته[264].

---

[263] - النيسابوري، أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، ط1، ج1، دار إحياء الكتب العربية للطباعة، ودار الكتب العلمية للتوزيع، بيروت، لبنان، 1991، حديث رقم 2867، ص2199 – ص2200.

[264] - الحنفي، صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العِزّ، شرح العقيدة الطحاوية، للطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة، ط1، دار ابن رجب للنشر، مصر، 2002، ص391.

الجواب على منكري عذاب القبر:

الإيمان بعذاب القبر وإن هذه الأمة تفتن في قبورها، فمن أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة الإيمان بعذاب القبر، وإثبات عذاب القبر ثابت من الكتاب والسنة وإجماع الأمة. أما من الكتاب فقال الله _ سبحانه وتعالى_: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ[265]﴾ اتفق المفسرون على أن العذاب الأدنى هو عذاب القبر، وقال الله _تعالى_ ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ[266]﴾. يقول الراجحي: وجه الاستدلال أن الله أخبر في أول الآية، أنهم يعرضون على النار غدواً وعشياً، وقد أخذ القائلون بعذاب القبر من هذا الفهم لهذه الآية دليلاً من القرآن على عذاب القبر ونعيمه، أما حجة القائلين بأن قوله يفيد ذلك، فمبنية على كون "الفاء" والتي تدل على أنه حصلت تلك الحالة عقيب الإغراق، فلا يمكن حملها على عذاب الآخرة، وإلا بطلت دلالة هذه الفاء.

فإنه لم يُرد أن ذلك في الآخرة، وإنما أراد أنهم يعرضون عليها بعد مماتهم في القبور، وهذا شاهد من كتاب الله لعذاب القبر، يدللك على ذلك قوله: ﴿ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ[267]﴾، فهم في البرزخ يعرضون على النار عدواً وعشياً، وفي القيامة يدخلون أشد العذاب.

وثبت عذاب القبر في قوله تعالى: ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا[268]﴾. اختلف المفسرون في شرح هذه الآية، والإشكال الذي طرحوه يتعلق بقوله تعالى : ﴿ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا﴾. منهم من قال إنه مباشرة بعد حدوث الغرق أدخلوا ناراً، وبما أن "نار

[265] - سورة السجدة، آية 21.
[266] - سورة غافر، آية 46.
[267] - سورة غافر، آية 46.
[268] - سورة نوح، آية 25.

جهنم" زمانها بعد قيام القيامة والحساب، فقد قالوا إنّ "النار" هنا تعني عذاب القبر، فالآية دلت على أن العرض قبل يوم القيامة، لأن العطف يقتضي المغايرة، وليس في ذلك العرض في الدنيا فيكون في القبر، والفاء هنا تفيد التعقيب، فدخول النار عقب الغرق مباشرة يكون في البرزخ وليس في القيامة، وذلك مثل قوله في حق الشهداء ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ[269]﴾. فهذا النعيم قبل يوم القيامة، لأن الآية ترشدنا إلى عدم اعتبارهم أمواتاً، كما تخبرنا بأنهم يتمتعون وهم في هذه الحالة بأمور دنيوية مثل الفرح والاستبشار بإخوانهم الذين ما زالوا في الدنيا ينتظرون الشهادة.

كما قال _سبحانه وتعالى_: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ[270]﴾ وصح في تفسير ذلك أن التثبيت في الآخرة بذلك هو الشهادتان في القبر عند السؤال، وأنه بعد شهادتهما يبشر، ويرى مقعده من الجنة، ولا يُمتحن بالسؤال عن غيرهما في جميع الأخبار المتفق على صحتها.

كما أورد أبو داود حديث البراء بن عازب _رضي الله عنه_ أن النبي (ﷺ) قال: "إن المسلم إذا سئل في القبر فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فذلك قول الله _عز وجل_: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ﴾.

---

[269] - سورة آل عمران، آية 169 – 170.

[270] - سورة إبراهيم، آية 27.

أي أن هذا التثبيت في الآخرة وذلك بأن يثبت عند السؤال، وهو يثبت في الدنيا على سلوك طريق الحق والنجاة، وعلى سلوك الصراط المستقيم، وذلك بإعطاء العبد خير زاد وأفضل زاد يكون في هذه الحياة الدنيا وهو زاد التقوى.

والإمام الطبري يذكر الصواب بأن مذهب أهل التأويل في هذه المسألة: أن التثبيت في الآخرة هو الإجابة في القبر فهو لا يعد من الدنيا أو منازلها فيقول: (وقوله في الآخرة أي في القبر، والصواب من القول في ذلك ما ثبت به الخبر عن رسول الله (ﷺ) في ذلك، وهو أن معناه يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا، وذلك تثبيته إياهم في الحياة الدنيا بالإيمان بالله وبرسوله محمد، وفي الآخرة بمثل الذي ثبتهم به في الحياة الدنيا وذلك في قبورهم حين يسألونك عن الذي هم عليه من التوحيد والإيمان برسوله.

قال جلّ شأنه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ[271]﴾، فالبرزخ هو الفترة التي يقضيها الإنسان في قبره من بعد موته إلى قيام الساعة، قال الإمام ابن كثير: قال أبو هريرة: إذا وضع _الكافر_ في قبره، فيرى مقعده من النار، قال: رب إرجعوني أتوب وأعمل صالحاً، فيقال: قد عمرت ما كنت معمراً، قال: فيضيق عليه قبره، قال: فهو كالمنهوش، ينام ويفزع، تهوي إليه هوام الأرض وحياتها وعقاربها.

كما قال الله _سبجانه وتعالى_:﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ

[271] - سورة المؤمنون، آية 99 – 100.

ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ[272]﴾، قال الإمام ابن كثير: قال الله في الآية غمرات الموت، أي في سكراته وغرامته وكُرباته. (والملائكة باسطو أيديهم) أي بالضرب لهم حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم، ولهذا يقولون لهم: (أخرِجوا أنفُسُكُمُ) وذلك أن الكافر إذا احتضر بشَّرَته الملائكة بالعذاب والنكال، والأغلال والسلاسل، والجحيم والحميم، وغضب الرحمن الرحيم، فتتفرق روحه في جسده، وتعصى وتأبى الخروج، فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم، قائلين لهم: (أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون). أي: اليوم تهانون غاية الإهانة، كما كنتم تكذبون على الله، وتستكبرون عن اتباع آياته، والانقياد لرسله[273].

وقال الإمام ابن حجر العسقلاني: هذا الضرب، وإن كان قبل الدفن، فهو من جملة العذاب الواقع قبل يوم القيامة، وإنما أضيف العذاب إلى القبر، لكون معظمه يقع فيه، ولكون الغالب على الموتى أن يقبروا، وإلا فالكافر ومن شاء الله تعذيبه من العصاة يعذب بعد موته ولو لم يدفن، ولكن ذلك محجوب عن الخلق، إلا من شاء الله[274].

قال سبحانه: ﴿ مِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ [275]﴾. قال أبو حنيفة من قال لا أعرف عذاب القبر فهو من الجهمية الهالكة لأنه أنكر قوله تعالة (سنعذبهم مرتين) يعني عذاب القبر.

[272] - سورة الأنعام، آية 93.
[273] - تفسير ابن كثير، ج6، ص113.
[274] - فتح الباري لابن حجر العسقلاني، ج3، ص275 – ص276.
[275] - سورة التوبة، آية 101.

ولهذه الأدلة ذهب أهل السنة والجماعة إلى الإيمان بفتنة القبر وعذاب القبر ونعيمه مفوضين علم حقيقة ذلك إلى الله فإن الإيمان بأحوال القبور هو من الإيمان بالغيب الذي هو مناط التكليف وما يترتب عليه من ثواب أو عقاب.

أما من السنة فعن أبي هريرة عن النبي (ﷺ) قال: "إن الميت إذا وُضِعَ في قبرهِ إنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه، فإن كان مؤمناً، كانت الصلاةُ عند رأسِهِ، وكان الصيّام عن يمينه، ... .[276]

وعنه عن رسول الله (ﷺ) قال: "إن المؤمن في قبره لفي روضة خضراء، ويرحب له قبره سبعون ذراعاً، وينور له كالقمر ليلة البدر أتدرون فيما أنزلت هذه الآية: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ[277]﴾. أتدرون ما المعيشة الضنكة" قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: "عذاب الكافر في قبره، والذي نفسي بيده، إنه يسلط عليه تسعة وتسعون تنيناً، أتدرون ما التنين؟ تسعون حية، لكل حية سبع رؤوس يلسعونه، ويخدشونه إلى يوم القيامة"[278].

وعن البراء بن عازب قال: خرجنا مع رسول الله (ﷺ) في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولمّا يُلحدُ فجلس رسول الله (ﷺ) وَجَلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكُتُ به في الأرض، فرفع رأسه فقال: "استعيذوا بالله من عذاب القبر" مرتبين أو ثلاثاً. وقال: "وإنه ليسمعُ خفق نعالهم إذا ولوا مدبيرن حين يقال له يا هذا من ربُّك؟ ......إلى آخر الحديث[279].

[276] ـ سبق ذكره في الفصل الأول.

[277] ـ سورة طه، آية 124.

[278] ـ الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الألباني، م1، ط1، دار الخلفاء الراشدين ودار الفتح الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، 2022، حديث رقم 240، ص67.

[279] ـ الألباني، حديث رقم 243، سبق ذكره.

وعن أبي هريرة _رضي الله عنه_ قال: كنّا نمشي مع رسول الله (ﷺ) فمررنا على قبرين، فقام فقمنا معه، فجعل لونه يتغير حتى رُعِدَ كُمُّ قميصه، فقلنا: ما لك يا رسول الله؟ فقال: "أما تسمعون ما أسمع؟" فقلنا: وما ذاك يا نبي الله؟ قال: "هذان رجلان يعذبان في قبورهما عذاباً شديداً في ذنب هين" قلنا فيم ذلك؟ قال: "كان أحدهما لا يستنزه من البول، وكان الآخر يؤذي النّاس بلسانه، ويمشي بينهم بالنميمة" فدعا بجريدتين من جرائد النخل، فجعل في كل قبر واحدة. قلنا: وهل ينفعهم ذلك؟ قال: "نعم يخفف عنهما ما دامتا رطبتين"[280].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله (ﷺ): "عذاب القبر حق". قالت: قلت: فلم يسمعه أحد؟ قال: "لا سمعه الجن أو الإنس ويسمعه غيرهم"، أو قال: "يسمعه الهوام"[281].

وعن أم مبشر قالت: دخل رسول الله (ﷺ) في حائط لبني النجار فيه قبورهم قد ماتوا في الجاهلية قالت: فخرج رسول الله (ﷺ) فسمعته يقول: "استعيذوا بالله من عذاب القبر" قالت: فقلت يا رسول الله وللقبر عذاب قال: "إنهم ليعذبون في قبورهم عذاباً تسمعه البهائم"[282].

وعن عبد الله بن مسعود عن النبي (ﷺ) قال: " إن الموتى ليُعذبون في قبورهم حتى إنّ البهائم لتسمع أصواتهم"[283].

---

280 - الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الألباني، م1، ط1، دار الخلفاء الراشدين ودار الفتح الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، 2022، حديث رقم 245.

281 - الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الألباني، م1، ط1، دار الخلفاء الراشدين ودار الفتح الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، 2022، ، حديث رقم 248.

282 - الألباني، حديث رقم 249.

283 - الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الألباني، م1، ط1، دار الخلفاء الراشدين ودار الفتح الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، 2022، ،حديث رقم 250.

وعن أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ، حدثنا أبو الحسن علي بن محمد بن سختوية، حدثنا محمد بن أيوب، أنبأ أيوب، أن موسى بن إسماعيل، وعلي بن عثمان وهدبة بن خالد، قالوا: حدثنا حاد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك، أن رسول الله (ﷺ) ترك قتلى بدر ثلاثاً، ثم أتاهم فقام عليهم فقال: "يا أبا جهل بن هشام، يا أمية بن خلف، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة، أليس قد وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً فإنّي وجدت ما وعدني ربي حقاً"؟!

فسمع عمر _ رضي الله عنه_ قول النبي (ﷺ) فقال: يا رسول الله، كيف يسمعون؟ وأنى يجيبون وقد جُيِّفوا؟! فقال: "والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا". ثم أمر بهم فسُحِبُوا فألقوا في قليب بدر[284].

إذاً مما يكون بعد الموت الإيمان بعذاب القبر، وبنعيمه، نؤمن بذلك كما وردت بها الأحاديث الصحيحة، وكما ذكر ذلك واستنبطه العلماء من القرآن من بعض الآيات والأدلة، وأنه يأتيه ملكان وردت تسميتهما في بعض الروايات، وأنهما يسألانه من ربك؟ من نبيك؟ من دينك؟ .... ويشمل ذلك كل ميت، سواء دُفِنَ أو لم يُدفن، حتى لو لم يدفن (مثلاً)، أو أكلته السباع، أو أحرق وذريت جثته في الرياح، أو في البر والبحر، فالله قادر على أن يوصل إليه ما يستحقه من عذاب أو نعيم. وبكل حال يؤمن المؤمن بما يكون بعد الموت مما ورد في هذه الأحاديث، ويحمله الإيمان على أن يستعد لذلك، وأن يعمل العمل الذي يكون سبباً في نجاته من تلك الأهوال.

284 - البهيقي، أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي، إثبات عذاب القبر، ط1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2002، ص70.

روى مسلم عن علي بن أبي طالب _رضي الله عنه_ قال: لما كان يوم الأحزاب، قال رسول الله (ﷺ): ملأ الله قبورهم وبيوتهم ناراً، كما حبسونا وشغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس[285].

أكدت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة إثبات عذاب القبر للمنكرين ذلك، وأن كل من مات وهو مستحق العذاب ما يصل من المقبور، فلا مجال للشك فيه بزعم أن الأحاديث الواردة في شأنه آحاد، ولو سلمنا أنها آحاد فيجب الأخذ بها لأن القرآن يشهد لها، ولو سلمنا أنه لا يوجد في القرآن ما يشهد لها، فهي وحدها كافية لإثبات هذه العقيدة، فالبرزخ في القبر لا يدركه الحس، ولو كانت تدرك بالحس لفاتت فائدة الإيمان بالغيب، ولتساوى المؤمن بالغيب، والجاحد في التصديق به، فالمؤمن العاقل لا يعتمد على الحواس وحدها، ولو اعتمدنا على حواسنا لبقينا على جهلنا بما وراء المادة.

العذاب الجسمي للعصاة في القبر

عن سمرة بن جندب _ رضي الله عنه_ قال: كان رسول الله (ﷺ) مما يكثر أن يقول لأصحابه: " هل رأى أحد منكم من رؤيا؟ فيقص عليه من شاء الله أن يقص، وأنه قال لنا ذات غداة "إنه أتاني الليلة آتيان، وإنهما قالا لي: انطلق، وإني انطلقت معهما، وإنما أتينا على رجل مضطجع، وإذا آخر قائم عليه بصخرة، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه، فيثلغ[286] رأسه، فيتدهده[287] الحجر هاهنا، فيتبع الحجر فيأخذه، فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان، ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل

[285] - صحيح مسلم، حديث رقم 627.
[286] - يشقه.
[287] - يتدحرج.

المرة الأولى" قال: قلت لهما: سبحان الله. ما هذان؟ قالا لي: انطلق انطلق. فانطلقنا، فأتينا على رجل مستلق لقفاه، وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد، وإذا هو يأتي أحد شقي، وجهه فشرشر شدقه إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه، ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول، فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان، ثم يعود عليه، فيفعل مثل ما فعل في المرة الأولى، قال: قلت: "سبحان الله! ما هذان؟ قال: قالا لي: انطلق انطلق، فانطلقنا فأتينا على مثل التنور، فأحسب أنه قال: " فإذا فيه لغط وأصوات، فاطلعنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة، وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا[288] قلت: ما هؤلاء؟ قالا لي: انطلق انطلق، فانطلقنا فأتينا على نهر حسبت أنه كان يقول أحمر مثل الدم، وإذا في النهر رجل سابح يسبح، وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة وإذا ذلك الشابح يسبح ما سبح ثم يأتي ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة فيفغر[289] له فاه فيلقمه حجراً، فينطلق فيسبح، ثم يرجع إليه، كلما رجع إليه فغر له فاه فألقمه حجراً. قلت لهما: ما هذان؟ قالا لي: انطلق انطلق، فانطلقنا فأتينا على رجل كريه المرآة[290]، أو كأكره ما أنت راء رجلاً مرأى، فإذا هو عنده نار يحشها[291] ويسعى حولها. قلت لهما: ما هذا؟ قالا لي: انطلق انطلق، فانطلقنا فأتينا على روضة معتمة[292]، فيها من كل نور[293] الربيع. وإذا بين ظهري الروضة رجل طويل، لا أكاد أرى رأسه طولاً في السماء، وإذا حول الرجل من أكثر ولدان ما رأيتهم قط، قلت: ما هذا؟ وما هؤلاء؟ قالا لي: انطلق انطلق،

[288] - صاحوا.
[289] - يفتح.
[290] - كريه المنظر.
[291] - يوقدها.
[292] - أي وافية النبات طويل.
[293] - زهر الربيع.

فانطلقنا، فأتينا إلى روضة عظيمة[294] لم أر دوحة قط أعظم منها ولا أحسن. قالا لي: ارق فيها، فارتقينا فيها إلى مدينة مبنية بلبن، ذهب ولبن فضة، فأتينا باب المدينة فاستفتحنا ففتح لنا فدخلناها، فتلقانا رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء، وشطر منهم كأقبح ما أنت راء. قالا لهم: اذهبوا فقعوا في ذلك النهر، وإذا هو نهر معترض يجري كأن ماءه المحض[295] في البياض. فذهبوا فوقعوا فيه: ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم، فصاروا في أحسن صورة، قال: قالا لي: هذه جنة عدن، وهذاك منزلك، فسما بصري صعداً، فإذا قصر مثل الربابة[296] البيضاء، قالا لي: هذاك منزلك، قلت لهما: بارك الله فيكما، فذراني فأدخله. قالا: أما الآن فلا وانت داخله. قلت لهما: فإني رأيت منذ الليلة عجباً فما هذا الذي رأيت؟ قالا لي: أما أنا سنخبرك: أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر، فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه، وينام عن الصلاة المكتوبة، وأما الرجل الذي أتيت عليه يشرشر شدقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه وعينه إلى قفاه، فإنه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق، وأما الرجال والنساء العراة الذي هم في مثل بناء التنور، فإنهم الزناة والزواني، وأما الرجل الذي أتيت عليه يسبح في النهر ويلقم الحجارة فإنه آكل الربا، وأما الرجل الكريه المرائي الذي عند النار يحثها ويسعى حولها، فإنه مالك خازن جهنم، وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم. وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة، فقال بعض المسلمين: يا رسول الله: وأولاد المشركين؟ فقال رسول الله (ﷺ) وأولاد المشركين، وأما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح، فإنهم قوم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً تجاوز الله عنهم"[297].

---

[294] - الشجرة الكبيرة.

[295] - اللبن.

[296] - السحابة.

[297] - رواه البخاري في صحيحه.

إذاً أشكال العذاب الجسمي للعصاة في القبر وأسباب تعذيبهم جاءت في الحديث السابق على النحو الآتي:

إنهم يعذبون على جهلهم بالله، وإضاعتهم لأمره، وارتكابهم لمعاصيه، فلا يعذّب الله روحاً عرفته، وأحبّته، وامتثلت أمره، واجتنبت نهيَه، ولا بدناً كانت فيه أبداً، فإنّ عذاب القبر وعذاب الآخرة أثرُ غضب الله وسُخطه على عبدهِ، فمن أغضب الله وأسخطه في هذه الدار، ثم لم يتب، ومات على ذلك، كان له من عذاب البرزخ بقدر غضب الله وسخطه عليه، فمستقلٌّ، ومستكثِرٌ، ومصدِّقٌ ومكذِّب. أما الأسباب التي يُعذَّب بها بعض البشر فهي وفق ما أخبرَ رسول الله (ﷺ) عن الرجلين الذين رآهما يعذَّبان في قبورهما، يمشي أحدهما بالنميمة بين الناس، ويترك الآخر الاستبراء من البول، فذاك ترك الطهارة الواجبة، وذلك ارتكب السبب المُوقِعَ للعداوة بين الناس بلسانه، وإن كان صادقاً. وفي هذا تنبيه على أن الموقِع بينهم العداوة بالكذب والزور والبهتان أعظمُ عذاباً، كما أن في ترك الاستبراء من البول تنبيهاً على أن من تَرَكَ الصلاة التي الاستبراءُ من البول بعضُ واجباتها وشروطها، فهو أشد عذاباً.

وقد تقدم في حديث سَمُرة في صحيح البخاري في تعذيب من يكذب الكذبة فتبلغ الآفاق، وتعذيب من يقرأ القرآن، ثم ينام عنه بالليل، ولا يعمل به بالنهار، وتعذيب الزُناة والزواني، وتعذيب آكل الربا، كما شاهدهم النبي (ﷺ) في البرزخ.

وتقدم حديث أبي هريرة الذي فيه رضخ رؤوس أقوام بالصخر لتثاقُل رؤوسهم عن الصلاة، والذين يسرحون بين الضَّريع والزقوم لتركهم زكاة أموالهم، والذي يأكلون اللحم المنتن الخبيث لزناهم، والذين تُقرض شفاههم بمقاريض من حديث لقيامهم في الفتن بالكلام والخطب.

كما أظهر الحديث عقوبة أرباب تلك الجرائم، فمنهم من بطونهم أمثال البيوت، وهم على سابلة آل فرعون، وهم أَكَلَة الربا، ومنهم من تُفتَحَ أفواههم فيلقمون الجمرَ حتى يخرج من أسافلهم، وهم أَكَلَة أموال اليتامى. ومنهم المعلَّقات بثديهن، وهن الزواني. ومنهم من تُقطَع جنوبهم ويُطعَمون لحومهم، وهم المغتابون. ومنهم من لهم أظفار من نحاس يخمِشون وجوههم وصدورهم، وهم الذين يمزّقون أعراض الناس.

فالكذاب والنمَّام والمغتاب، وشاهد الزور، وقاذف المحصَن، والمُوضِع في الفتنة، والداعي إلى البدعة، والقائل على الله ورسوله ما لا علمَ له به، والمجازف في كلامه. وآكل الربا، وآكل أموال اليتامى، وأكل السُّحت من الرشوة والبرطيل ونحوها، وآكل ما أخيه المسلم بغير حقٍّ أو ما المعاهد، وشارب المسكِر، وآكل لقمة الشجرة الملعونة، والزاني، واللوطي، والسارق، والخائن، والغادر، والمخادع، والماكر، وآخذ الربا، ومعطيه، وكاتبه، وشاهداه، والمحلل والمحلَّل له، والمحتال على إسقاط فرائض الله وارتكاب محارمه، ومؤذي المسلمين، ومتَّبع عوراتهم.

والحاكم بغير ما أنزل الله، والمفتي بخلاف ما شرَعَه الله، والمعين على الإثم والعدوان، وقاتل النفس التي حرم الله، والملحِد في حرم الله، والمعطِّل لحقائق أسماء الله وصفاته الملحِد فيها، والمقدِّم رأيه وذوقَهُ وسياسته على سنَّ رسول الله (ﷺ).

والنائحة والمستمع إليها، ونوّاحو جهنَّم وهم المغنون الغناء الذي حرّمهُ الله ورسوله، والمستمعُ إليهم، والذين يبنون المساجد على القبور، ويوقدون عليها القناديل والسرج، والمطففون في استيفاء ما لهم إذا أخذوه، وهَضْمِ ما عليهم إذا بذلوه، والجبّارون، والمتكبِّرون، والمراؤون، والهمّازون، واللمازون، والطاعنون على السلف، والذين يأتون الكَهَنَة، والمنجمين والعرَّافين، فيسألونهم، ويصدِّقونهم.

وأعوان الظَّلَّمَة الذين قد باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم، والذي إذا خوّفتَه بالله وذكَّرته به لم يرعَوِ، ولم ينزجر، فإذا خوَّفته بمخلوقٍ مثلِهِ خاف، وارعوى، وكفَّ عمّا هو فيه، والذيُ هدى بكلام الله ورسوله، فلا يهتدي، ولا يرفع به رأساً، فإذا بلغه عمَّن يحُسِنُ به الظنّ، ممن يصيب ويخطئ، عضَّ عليه بالنواجذ، ولم يخالفه، والذي يُقرأ عليه القرآنُ فلا يؤثر فيه، وربما استثقَلَ به، فإذا سمع قرآن الشيطان ورقية الزنا، ومادّة النفاق طاب سِرُّه وتواجّدّ، وهاج من قلبه دواعي الطرب، وودّ أن المغنّي لا يسكتُ، والذي يحلف بالله، ويكذب، فإذا حلف بالبندق أو برأس شيخه أو تُربة أو سراويل الفتوة، أو حياة من يُحبُّه ويُعظِّمه من المخلوقين لم يكذب، ولو هُدِّد وعوقب.

والذي يفتخر بالمعصية وتكثَّر بها بين إخوانه وأضرابه، وهو المجاهر، والذي لا تأمنه على مالك وحرمتك، والفاحش اللسان البذيء الذي تركه الناس اتقاءَ شرّهِ وفُحشه. والذي يؤخر الصلاة إلى آخر وقتها، وينقُرُها، ولا يذكر الله فيها إلا قليلاً، ولا يؤدِّي زكاة ماله طيِّبةً بها نفسه، ولا يحج مع قدرته على الحجّ، ولا يؤدي ما عليه من الحقوق مع قدرته عليها، ولا يتورع من لحظةٍ ولا لفظة ولا أكلةٍ ولا خطوةٍ، ولا يبالي بما حصّل المال من حلال أو حرام، ولا يصلُ رحمه، ولا يرحم المسكين، ولا الأرملة ولا اليتيم، ولا الحيوان البهيم، بل يدُعُّ اليتيم، ولا يحضُّ على طعام المسكين، ويرائي العالمين، ويمنع الماعون، ويشتغل بعيوب الناس عن عيبه، وبذنوبهم عن ذنبه. فكل هؤلاء وأمثالهم يعذبون في قبورهم بهذه الجراءئم بحسب كثرتها وقلَّتها، وصِغرها وكِبَرها.

الفصل الرابع: زيارة القبور وأحوال الموتى

فهرس الفصل

- كيفية الزيارة الشرعية للقبور
- بيان حكم التمسح بالقبر وتقبيله وتمريغ الخد عليه.
- حكم قراءة القرآن عند القبور
- حاجة الميت إلى دعاء الزائر
- معرفة الموتى بزيارة الأحياء والاستبشار بها.
- خطب على القبور
- موعظة في الموت
- الجزع عند الموت مخافة سوء المرد.
- ما قاله الأمراء والملوك عند نزول الموت بها.
- إلى من لا يحب ذكر الموت ويغفل عنه.

كيفية الزيارة الشرعية للقبور

إن زيارة الموتى، والذهاب إلى المقابر، فيها قرع للنفوس، وعظة واعتبار بوقوع الموت على خلق الله تعالى، وفي زيارتها تذكير بأهوال القيامة، فيرق القلب، وتدمع العين، وتتدارك النفس ما فات، وتزهد في الدنيا، وترغب في الآخرة، فضلاً عن أن الموتى ينتفعون بالدعاء والاستغفار هم، والسلام والترحم عليهم من الزائرين وسؤال العافية لهم.

الزيارة المشروعة للقبور أن يسلم على الميت، ويدعو له بمنزلة الصلاة على جنازة، كما كان النبي (ﷺ) يعلم أصحابه إذا زاروا القبور: أن يقولوا: " سلام عليكم أهل دار قوم مرمنين، وإنا إن شاء الله بمن لاحقون، يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين، نسأل الله لنا ولكم العافية، اللهم لا تحرمنا أجرهم، ولا تفتنا بعدهم"[298].

وروي عن النبي (ﷺ) أنه قال: " ما من رجل يمر بقبر رجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام". والله تعالى يثيب الحي إذا دعا للميت المؤمن، كما يثيبه إذا صلى على جنازته، ولهذا نهى النبي (ﷺ) أن يفعل ذلك بالمنافقين، فقال عز من قائل ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ[299]﴾.

فليس في الزيارة الشرعية حاجة الحي إلى الميت، ولا مسألته ولا توسله به، بل فيها منفعة الحي للميت، كالصلاة عليه، والله تعالى يرحم هذا بدعاء هذا وإحسانه إليه، ويثيب هذا على عمله،

[298] - ابن تيمية، زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور، ط4، إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، 2001، ص15.
[299] - سورة التوبة، آية 84.

فإنه ثبت في الصحيح عن النبي (ﷺ) أنه قال: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به من بعده، أو ولد صالح يدعو له"[300].

إذاً الزيارة الشرعية التي أذن فيها رسول الله (ﷺ) فالمقصود منها شيئان:

أحدهما: راجع إلى الزائر وهو الاعتبار والاتعاظ.

والثاني: راجع إلى الميت وهو أن يسلم عليه الزائر ويدعو له ولا يطول عهده فيهجره ويتناساه كما أنه إذا ترك زيارة أحد من الأحياء يتناساه وإذا زاره فرح بزيارته وسر بذلك، فالميت أولى به، لأنه قد صار في دار هجر أهلها إخوانهم ومعارفهم، فإذا زاره أحد وأهدى إليه هدية من سلام ودعاء ازداد بذلك سروره وفرحه.

أما الزيارة البدعية: فزيارة القبور لأجل الصلاة عندها والطواف بها وتقبليها واستلامها وتعفير الخدود عليها وأخذ ترابها ودعاء أصحابها والاستعانة بهم، وسؤالهم النصر والرزق والعافية والولد وقضاء الدين وتفريج الكربات وإغاثة اللهفات، وغير ذلك من الحاجات، التي كان عباد الأوثان يسألونها من أوثانهم، فليس شيء من ذلك مشروعاً باتفاق أئمة المسلمين إذ لم يفعله رسول الله (ﷺ) ولا أحد من الصحابة والتابعين وسائر أئمة الدين، بل أصل هذه الزيارة البدعية الشركية مأخوذة عن عبَّاد الأصنام.

فإنهم قالوا: الميت المعظم الذي لروحه قرب ومزية عند الله تعالى لا يزال يأتيه الألطاف من الله تعالى وتفيض على روحه الخيرات، فإذا علق الزائر روحه به وأدناه منه فاض من روح المزور

300 - ابن تيمية، زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور، ط4، إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، 2001، ص16.

على روح الزائر من تلك الألطاف بواسطتها كما ينعكس الشعاع من المرآة الصافية والماء الصافي ونحوها على الجسم المقابل له.

ثم قالوا: فتمام الزيارة أن يتوجه الزائر بروحه إلى الميت ويعكف بهمته عليه ويوجه قصده وإقباله إليه، بحيث لا يبقى فيه التفات إلى غيره، وكلما كان جمع الهمة والقلب عليه أعظم كان أقرب إلى انتفاعه به، وقد ذكر هذه الزيارة على هذا الوجه ابن سيناء والفارابي، وغيرهما وصرح به عبَّاد الكواكب، وقالوا: إذا تعلقت النفس الناطقة بالأرواح العلوية فاض عليها منها نور ولهذا السر عبدت الكواكب واتخذت لها الهياكل وصنفت لها الدعوات واتخذت لها الأصنام، وهذا بعينه هو الذي أوجب لعبّاد القبور اتخاذها مساجد وبناء المساجد عليها وتعليق الستور عليها وإيقاد السرج عليها، وإقامة السدنة لها ودعاء أصحابها والنذر لهم وغير ذلك من المنكرات.

والله هو الذي بعث رسله وأنزل كتبه لإبطاله وتكفير أصحابه ولعنهم وأباح دماءهم وأموالهم، وسبي ذراريهم، وهو الذي قصد رسول الله (ﷺ) إبطاله ومحوه بالكلية وسد الذرائع المفضية إليه، فوقف هؤلاء الضالون المضلون في طريقه وناقضوه في قصده، وقالوا: إن العبد إذا تعلقت روحه بروح الوجيه المقرب عند الله تعالى وتوجه إليه بمهمته وعكف بقلبه عليه وصار بينه وبينه اتصال يفيض به عليه نصيب ممن يحصل له من الله تعالى وشبهوا ذلك بمن يخدم ذا جاه وقرب من السلطان وهو شديد التعلق به فما يحصل من السلطان من الإنعام والإفضال ينال ذلك المتعلق به من حصته بحسب تعلقه به[301].

---

301 - البركوي، محيي الدين محمد، زيارة القبور الشرعية والشركية، ط6، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، للنشر، السعودية، 2012، ص32 – ص35.

بيان حكم التمسح بالقبر وتقبيله وتمريغ الخد عليه

إن التمسح بالقبر أي قبر كان وتقبيله، وتمريغ الخد عليه فمنهي عنه باتفاق المسلمين، ولو كان ذلك من قبور الأنبياء، ولم يفعل هذا أحد من سلف الأمة وأئمتها، بل هذا من الشرك، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ [302]﴾.

وقد تقدم أن هؤلاء أسماء قوم صالحين كانوا من قوم نوح، وأنهم عكفوا على قبورهم مدة، ثم طال عليهم الأمد فصوروا تماثيلهم، لا سيما إذا اقترن بذلك دعاء الميت والاستغاثة به. وقد تقدم ذكر ذلك، وبيان ما فيه من الشرك، وتم تبيان الفرق بين الزيارة البدعية التي تشبه أهلها بالنصارى، والزيارة الشرعية.

حكم قراءة القرآن عند القبور

ذهب بعض أهل العلم إلى حوازه، واستدلوا بما نقل عن ابن عمر _رضي الله عنهما_ عن النبي (ﷺ) أنه قال: "إذا مات أحدكم فلا تحبسوه، أسرعوا به إلى قبره، وليقرأ عند رأسه بفاتحة الكتاب، وعند رجليه بخاتمة البقرة في قبره"[303] وذلك في جواز قراءة القرآن وقت الدفن.

وبما روى أمة أمامة الباهلي _رضي الله عنه_ قال: لما وضعت أم كلثوم ابنة رسول الله (ﷺ) في القبر، قال رسول الله (ﷺ)[304]: ﴿ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ[305]﴾

---

[302] - سورة نوح، أية 23 – 24.

[303] - الطبراني، أبي القاسم سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، مكتبة ابن تيمية للنشر، القاهرة، حديث رقم 13613.

قال شيخ الإسلام بعد ما حكى الأقوال: والثالثة: أن القراءة عند الدفن لا بأس بها، ثم قال: "وهذه الرواية لعلها أقوى من غيرها، لما فيها من التوفيق بين الدلائل"[306].

أما القول الثاني: جواز القراءة مطلقاً:

وهذه هي رواية أحمد وطائفة من أصحاب أبي حنيفة وغيرهم من اختيار الخلال وصاحبه[307]، وقال النووي: "ويستحب للزائر الإكثار من قراءة القرآن والذكر"[308]. وقد ذكر أصحاب هذا القول أن الإمام أحمد _رحمه الله_ كان لا يرى القراءة على القبر، ثم رجع رجوعاً أبان به عن نفسه، فروى جماعة أن أحمد نهى ضريراً أن يقرأ عند القبر، وقال له: إن القراءة عند القبر بدعة. فقال له محمد بن قدامة الجوهري: يا أبا عبد الله، ما تقول في مبشرً الحلبي؟ قال: ثقة. قال: فأخبرني مبشر، عن أبيه أنه أوصى إذا دفن يقرأ عنده بفاتحة البقرة وخاتمتها، وقال: سمعت ابن عمر يوحي بذلك. قال أحمد بن حنبل: فارجع فقل للرجل يقرأ[309]. ومما يؤكد أن هذا قول الإمام أحمد ما رواه ابنه عبد الله. أنه قال: سمعت أبي سئل عن رجل يقرأ عند القبر على الميت. قال: أرجو أن لا يكون به بأس[310].

---

304 - النيسابوري، أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ج2، ط1، دار الرسالة العالمية للنشر، 2018، ص411، حديث رقم 3433.

305 - سورة طه، آية 55.

306 - كتاب الفروع، ج2، 304، و4، 145، حواشي الشرواني، وابن قاسم العبادي، على تحفة المحتاج بشرح المنهاج، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، 1416.

307 - وهو أبو بكر عبد العزيز بن جعفر بن يزداد، يعرف بغلام الخلال وكان تلميذاً له، فقيه حنبلي.

308 - النووي، محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف، الأذكار من كلام سيد الأبرار المسمى حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار المستحبة في الليل والنهار، ط1، دار المناهج للنشر والتوزيع، جدة، 2005، ص179.

309 - المغني، ج3، ص518.

310 - مسائل الإمام أحمد بن حنبل لابنه عبد الله، ص145.

وذكر ابن القيم في الروح أن الحسن بن الصباح الزعفراني سأل الشافعي عن القراءة عند القبر، فقال لا بأس به[311]، وقد استدل أصحاب هذا القول بما يلي:

- بأن ابن عمر أوصى أن يقرأ عند قبره بفواتح سورة البقرة وخواتيمها.
- قال (ﷺ): "البقرة سنام القرآن وذروته، نزل مع كل آية منها ثمانون ملكاً، واستخرجت (لا إله إلا هو الحي القيوم) من تحت العرش، فوصلت بها، أو فوصلت بسورة البقرة، ويس قلب القرآن لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر له، واقرأوها على موتاكم"[312].
- قال (ﷺ): "من مرّ بالمقابر وقرأ إحدى عشر مرة قل هو الله أحد، ثم وهب أخره الأموات أعطي من الأجر بعدد الأموات"[313].

القول الثالث: قال شيخ الإسلام: وأما القراءة الدائمة على القبور، فلم تكن معروفة عند السلف، وقد تنازع الناس في القراءة على القبر، فكرهها أبو حنيفة ومالك، وأحمد في أكثر الروايات عنه[314].

قال عبد الله: سألت أبي عن الرجل يحمل معه المصحف إلى القبر يقرأ عليه قال: هذه بدعة. قلت لأبي: وإن كان يحفظ القرآن يقرأ؟ قال: لا، يجيء ويسلم، ويدعو وينصرف. الزيارة بعد حين رخص النبي (ﷺ) فيها؟ يقولون ذاك"[315]. قال في المغني: وروي عنه _أي أحمد_ أنه قال: القراءة عند القبر بدعة. وعن أبي داود قال: سئل الإمام أحمد عن القراءة عند القبر، فقال: لا[316].

---

311 - كتاب الروح، ص66.

312 - أخرجه الإمام أحمد في المسند، 417، حديث رقم 20300.

313 - الجراحي، إسماعيل بن محمد العجلوني، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، دار إحياء التراث العربي، بيروت، حديث رقم 3630 – 371/2.

314 - الحراني، تقي الدين أحمد بن تيمية، مجموع الفتاوي، م7، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ، 24/ 317.

315 - مسائل الإمام أحمد رواية ابنه عبد الله، ص145.

316 - كتاب مسائل الإمام أحمد للإمام أبي داود، دار المعرفة للنشر، بيروت، ص158.

وقال مالك: ما علمت أحداً يفعل ذلك فعلم أن الصحابة والتابعين ما كانوا يفعلونه[317]. وقال ابن الحاج: ولا يقرأ عند قبر الميت لما تقدم من شغله بما ذكر من الاعتبار، وقراءة القرآن يحتاج صاحبها إلى التدبر وإظار الفكرة فيما يتلوه، وفكر ثان في قلب واحد في محل واحد لا يجتمعان. فإن قال قائل: أنا أعتبر في وقت وأقرأ في وقت آخر، والقراءة إذا قرئت تنزل الرحمة إذ ذاك، فلعل أن يلحق الميت من تلك الرحمة شيء ينفعه، فالجواب عنه من وجوه:

- أن السنة لم ترد بذلك وكفى بها.
- شغله بما تقدم من الفكرة والاعتبار في حال الموت، وسؤال الملكين وغير ذلك، والوقت محل هذا فقط، ولا يخرج من عبادة إلى عبادة أخرى، لاسيما لأجل الغير.
- أنه لو قرأ في بيته وأهدى إليه لوصلت، وكيفية وصولها: أنه إذا فرغ من تلاوته وهب ثوابها له، أو قال: اللهم اجعل ثوابها له، فإن ذلك دعاء بالثواب، لأنه يصل إلى أخيه، والدعاء يصل بلا خلاف، وإذا كان ذلك فلا يحتاج أن يقرأ على القبر، وهذا عند من أجازوا إهداء القراءة.
- أنه قد تكون قراءة القرآن على قبره سبباً لعذابه، أو لزيادته منه، لأنه كلما مرت به آية لم يعمل بها، فيقال له: أما قرأتها؟ أما سمعتها؟ فكيف خالفتها؟ في عذب أو يزاد في عذاه لأجل مخالفته لها، كما نقل عن بعض من اتصف بشيء مما ذكر، أنه رؤي في عذاب عظيم، فقيل له: أما تنفعك القراءة التي تقرأ عندك ليلاً أو نهاراً؟ فقال: إنها سبب لزيادة

317- بن تيمية، أحمد عبد الحليم بن عبد السلام، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ج2، مكتبة الرشد، الرياض ، ج2، ص744.

عذابي، وذكر ما تقدم سواء بسواء، وإن كان لا يسلك لهذا القول لعدم صحة السماع وإلا لما قبل له الدليل.

الترجيح ومناقشة الأقوال السابقة:

القول الأول الذي أجاز القراءة عند الدفن، وقيده بوقت مخصوص، انطلق من خلال بعض الأحاديث التي ظهر ضعفها وهو خبر وصية عمر وخبر أبي أمامة الباهلي، وجميعها لا تقوم بها حجة، لأن الحديث الضعيف لا يثبت به حكم شرعي، وأما الفريق الآخر الذي أجازه مطلقاً، فقد اعتمد على أدلة الفريق الأول، وأضاف إليها حديثاً موضوعاً، وهو حديث (من زار المقابر) وأضاف إليه حديث (اقرأوا سورة يس) وهذا الحديث ضعيف، لو كان الحديث صحيحاً، فإنه لا يحتج به في موضع الاستشهاد، فنجد أن الحافظ أبا داود بوب له (باب القراءة عند الميت) كما في كتاب الجنائز، بل نجد أن ابن ماجة بوب له باب أصرح حيث بوب له في كتاب الجنائز (باب فيما يقال عند المريض إذا حضر) فهما في هذا أظهرا بأن قراءة يس لو جازت، فإنها تقال عند المحتضر وليست عند القبر أو عند زيارة المقابر، ولذا قال في عون المعبود عند شرح الحديث: "على موتاكم" أي الذي حضرهم الموت. ولعل الحكمة في قراءتها أن يستأنس المحتضر بما فيها من ذكر الله وأحوال القيامة والبعث"[318].

ولو فهم الصحابة أن (اقرأوا يس عند موتاكم) أن يقرأوها على القبور، لكانوا أسبق الناس إلى تنفيذها، ولنقل لنا ذلك عنهم نقلاً صحيحاً، كما نقلت عنهم سائر الأحكام، والحاصل أن قراءة القرآن في المقابر سواءً عند الزيارة أو عند الدفن لا تجوز بحال من الأحوال، وهي بدعة، وعلى المسلم إذا

[318]- آبادي، أبي عبد الرحمن شرف الحق محمد أشرف الصديق العظيم، عون المعبود شرح سنن أبي داود وهو مختصر غاية المقصود في حل سنن أبي داود، ج8، ط2، دار الفيحاء، ودار المنهل للنشر، دمشق، 2013، ، ج8، ص390.

زار القبور أن يلتزم بهديه (ﷺ) الذي أرشد الأمة إلى ما يقولون في زيارة القبور، ولعمهم الآداب والأدعية التي يقولونها عند زيارة القبور، ولم يذكر فيها استحباب القراءة أو الندب إليها. والذي تميل إليه النفس بدعية هذا العمل وحرمته وبخاص أن الناس توسعوا به.

موعظة في الموت

لابد من الموت، لأنه خروج من مكان يستحيل البقاء فيه وانتقال إلى دار يحاسب فيها القهار، وبعدها ينتهي الإنسان من الحساب لتقاس الأشياء بموازين طبيعية، لا يخيب عندها الحق، ولا يُساند عندها الباطل، فالحق حق، والباطل باطل.

لابد من الموت لأنه رجوع إلى الأصل الذي خلق منه الإنسان، فكما خلقه من تراب، لابد وأن يكون تراباً لتتذكر النفوس حالها حين تظلم، والمضطربة حين اضطرابها، والمفسدة حين إفسادها، أن مآلها إلى تراب.

خفف الوطء ما أظن أديم الأر   ض إلا من هذه الأجساد.

فربما تخشع يوماً، أو تتعظ ساعة، فينصلح حال الدنيا، ويكون هناك أهل حق وأهل باطل، وتسير في حالة لا يستقيم عندها الحق كله، ولا يؤدي بها إلى الهلاك، بل الموت بصيرة أمام البشر، يودعون واحداً منهم، فيرون التراب، والعظام والدود واللحود، ولولا ذلك لما استقام بشر على طريق سوي، فالنهاية معلومة، وفي تذكرها يبدأ الإصلاح فلا يستقر حال بني البشر.

لابد من الموت، لأنه إظهار لقدرة الله، وبرهان على البعث، ودليل متيقن على الوقوف أمام الله رب العالمين، فكيف يسير العالم منذ خلق والناس يتساقطون كل يوم، وكيف يحاسب أولئك جميعاً أمام رب العالمين؟ وكيف يتأكد الناس من أن ظالماً لن يعيث في الأرض الفساد طويلاً؟

إن الموت دليل لهم على حياتهم الباقية التي أرادها لهم رب البريّة بمقاييس معلومة، وموازين سديدة محكمة، فخالق الموت جدير وقدير على محاسبة الناس جميعاً، وهذا الظالم لن يبقى على الأرض طويلاً ما دام البشر يموتون، والمطمئن لقلوبهم أن الموت غير معلوم.

إذاً فالموت لابد منه ليتعظ الناس، وتستقر أحوالهم، فكان أقوى عظة، وأفظع خطباً، وأشنع أمراً، وأمرُّ كأساً، لذا كان تذكره دائماً سبيلاً إلى الإصلاح، إصلاح النفس، وإصلاح المفاسد، والإصلاح بين الناس، وإصلاح المجتمع، والجهاد في سبيل الله.

فهل ننسى أننا نؤخذ من فراشنا، ونُشَد على لوح، ونكفن بأكفان لاتحمل بين طياتها سوانا، ونوضع في القبور!. إنها ساعة يتحير عندها العقل، يرجع إلى رشده يعمل فكره، يهيب بالناس أن يحسنوا الختام، وأن يرفعوا لا إله إلا الله محمد رسول الله (ﷺ).

وها نحن أولاء في دار الدنيا، فهلا نجتمع جيمعاً ولا نفترق، ونتحاب ولا نتخاصم، مادام هذا مصيرنا؟ الموت يعمنا، والقبر يضمنا، والقيامة تجمعنا، والله يحكم بيننا، ويفصل فينا وهو أحكم الحاكمين.

ما قاله الأمراء والملوك عند نزول الموت بها.

حدثنا عبد الله قال: حدثنا أبو زيد النميري قال: حدثنا أبو غسان مالك بن يحيى الكناني، عن عبد العزيز بن عمران الزهري، عن معاوية بن محمد بن عبدالله بن بحير بن ريسان، عن أبيه قال:

لما حضر عمرو بن العاص الوفاة قال له ابنه: يا أبتاه، إنك قد كنت تقول لنا: ليتني كنتُ ألقى رجلاً عاقلاً عند نزول الموت حتى يصف لي ما يجد، وأنت ذلك الرجل، فصف لي الموت.

قال: والله يا بني لكأنَّ جنبيَّ في تختٍ، وكأني أتنفس من سم إبرة، وكأن غصن الشوك يجر به من قدمي إلى هامتي، ثم قال: ليتني كنت قبل ما قد بدا لي في قِلال الجبال أرعى الوعولا.

والله ليتني كنت حيضاَ أعركتني الإماءُ بدريب الإذخر[319].

حدثنا عبد الله قال: حدثنا أبو خثيمة قال: حدثنا وهب بن جرير قال: حدثنا أسود بن شيبان، عن أبي نوفل بن أبي عقرب قال: لما جدَّ بعمرو بن العاص، وضع يده موضع الغلال من رقبته، فقال: اللهم أمرتنا فتركنا، ونهيتنا فركبنا، ولا يسعنا إلا مغفرتك. فكانت تلك هِجيراه حتى مات[320].

حدثنا عبد الله قال: وحدثني أبي رحمه الله، عن هشام بن محمد عن محمد بن قيس الأسدي: أن عمرو بن العاص قال وهو في الموت: اللهم لا ذو قوةٍ فانتصر، ولا ذو براءةٍ فأعتذر، اللهم إني مُقِرٌّ، مذنبٌ، مستغفرٌ[321].

---

319 - الزهري، محمد بن سعد بت منيع، كتاب الطبقات الكبير، ج4، ط1، مكتبة الخانجي للنشر، القاهرة، 2001، ، ج4، ص260.

320 - الزهد لابن المبارك، ص147، حديث رقم 439.

321 - كتاب تقريب التهذيب، ص503.

حدثنا عبد الله قال: وحدثني عبد الرحمن بن صالح قال: حدثنا حفث بن غياث، عن أشعث، عن الحسن قال: لما احتُضر عمرو بن العاص، نظر إلى صناديق، فقال لبنيه، من يأخذها بما فيها؟ يا ليته كان بَعْراً.

قال ثم أمر بالحرس، فأحاطوا بقصره، فقال بنوه: ما هذا؟ فقال: ما ترون؟ هذا يغني عني شيئاً؟[322]

حدثنا عبد الله قال: حدثنا الفضل بن جعفر قال: حدثنا ابو عاصم النبيل قال: أخبرنا حيوة بن شريح، عن يزيد بن أبي حبيب، عن ابن شِماسنة قال: حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت، فجعل يبكي، وولّى وجهه الجدار، وجعل ابنه يقول: ما يبكيك؟ أما بشّرك رسول الله (ﷺ) بكذا؟

فأقبل بوجهه فقال: إن أفضل ما تَعُدُ عليّ شهادةُ أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله. فإذا أنا متُّ فلا تتبعني نائحة ولا نارٌ. وإذا دفنتموني فسُنُّوا علي التراب سَنّاً. وأقيموا عند قبري قدر ما يُنحرُ جزور ويُقسمُ لحمُه، حتى آنس بكم وأنظر ما أراجعُ به رسل ربي[323].

حدثنا عبد الله قال: حدثنا الحسن بن يوسف بن يزيد قال: حدثنا بقية بن الوليد قال: حدثنا محمد بن زياد: أن عمرو بن العاص حين حضره الموت قال: اللهم أمرتنا بأشياء فتركناها، ونهيتنا عن أشياء فانتهكناها، ولكن أشهد أنه لا إله إلا لله _ ثم قبض عليها بيده اليمنى_

322 - إحياء علوم الدين، ج4، ص697.
323 - ابن المبارك، كتاب الزهد، ص147، حديث رقم 440.

وأشهد أن محمداً عبدهُ ورسوله، _ثم قبض عليها بيده اليسرى_؟ قال: فقُبِض وإن يديه لمقبوضتان[324].

حدثنا عبد الله قال: حدثنا أبو صالح المروزي، عن عبد العزيز بن أبي رزمة، عن عبد الله بن المبارك قال: قال الوليد بن عقبة حين حضره الموت: اللهم إن كان أهلُ الكوفة صَدَقوا عليّ فلا تبارك لي فيما أُقْدِمُ عليه، واجعل مردّي شرّ مردٍّ، وإن كانوا كَذَبوا عليَّ فاجعله كفارةً لما لا يعلمون من ذنوبي[325].

حدثنا عبد الله قال: حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد القرشي قال: حدثني أبي قال: حدثنا ابن جريج، عن ابن أبي مليكة قال: رأيت عبد العزيز بن مروان حين حضره الموت وهو يقول: ألا ليتني لم أكُ شيئاً مذكوراً، ألا ليتني كهذا الماء الجاري، أو كنابتةٍ من الأرض، أو كراعي ثلَّةٍ في طرفِ الحجاز من بني نصر بن معاوية، أو بني سعد بن بكر[326].

حدثنا عبد الله قال: حدثني عصمة بن الفضل قال: حدثنا يحيى بن يحيى، عن داود بن المغيرة قال: لما حضرت عبد العزيز بن مروان الوفاة قال: ائتوني بكفني الذكي تكفنوني فيها، فلما وُضع بين يديه ولّاهم ظهره، فسمعوه وهو يقول أُفٌّ لك أفٌّ لك. ما أقصر طويلك وأقلَّ كثيرك[327].

---

[324] - ابن المبارك، كتاب الزهد، ص39 – 40.

[325] - المبرد، أبي العباس محمد بن يزيد، التعازي والمراثي والمواعظ والوصايا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996، ص233.

[326] - سير أعلام النبلاء، ج4، ص250.

[327] - مختصر تاريخ دمشق، ج15، ص156.

حدثنا عبد الله قال: حدثنا سلمة بن شبيب قال: حدثنا سهل بن عاصم، عن شيخ له، عن الأعمش، عن أبي وائل قال: لمّا حُضِرَ بشر بن مروان قال: والله لوددتُ أني كنتُ عبداً حبشياً لأسوأ أهل البادية مَلَكةً، أرعى عليهم غنمهم، وإني لم أكن فيما كنت فيه.

فقال سفيان: الحمد لله الذي جعلهم يفرون إلينا ولا نفرُّ إليهم، إنهم ليرون فينا عِبَراً، وإنّا لنرى فيهم عِبَراً[328].

حدثنا عبد الله قال: حدثنا أبو زيد النميري قال: حدثنا بكر بن عبد الله بن عاصم، عن مالك بن دينار قال: مات بشرُ بن مروان فدفن، ثم مات أسود فدفن إلى جنبه، فمررت بقبرهما بعد ثالثة فلم أعرف أحدهما من قبر صاحبه، فذكرت قول الشاعر[329]:

والعطيّات خِساسٌ بينهم وسواءٌ قبرُ مُثْرٍ ومُقِلّ.

خطب على القبور لمن لا يحب الموت

القبر أول منازل الآخرة، تلك الحفرة الموحشة المظلمة أسهرت ليالي الصالحين؛ خوفاً منها، وتفكرًا فيها، ودعاء بالنجاة من عذابها.. حفرة ضيقة يُوسّد الميت فيها، ثم يُهال التراب عليه فلا نفس فيها ولا فُرجة ولا ضوء ولا هواء ولا شيء معه إلا كفنه وعمله، ويبلى الكفن ويبقى العمل!! فلنتعظ – عباد الله– بمن مضوا إلى قبورهم قبلنا، فعن قريب سنكون عظة لغيرنا، والسعيد من قدم على الله تعالى بخير ما عمل، والشقي من تمادى به التسويف حتى مات بلا عمل.

---

328 - بن كثير، أبي الفداء إسماعيل، البداية والنهاية مبدأ الخليقة وقصص الأنبياء، ج9، طبعة وزارة الأوقان والشؤون الإسلامية، قطر، 2015، ج9، ص7 – ص8.

329 - الأصبهاني، أبي نعيم، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج2، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص357.

الحمد لله المحيي المميت؛ كتب الموت على العباد، وأنذرهم يوم المعاد، وحذرهم من الغفلة والعناد، نحمده على هدايته، ونشكره على رعايته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له) أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الإِنْسَانَ لَكَفُورٌ] (الحج:66]، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله؛ أنصح الخلق للخلق، وأحرصهم عليهم، وأرأفهم بهم.. أوصى أمته بكثرة ذكر الموت، وبزيارة القبور؛ لئلا يغتروا بزينة الدنيا فيتركوا العمل للآخرة، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، وراقبوه فلا تعصوه.. أخلصوا له في أعمالكم، وفرغوا له قلوبكم، وأقيموا ما افترض عليكم؛ فإن أمامكم عزلة ووحشة، وشدة وكربة، وقبرًا ضيقًا مظلمًا، لا يوسع ولا يضاء إلا بالعمل الصالح، فأعدوا له عُدته، وخذوا له أهبته فهو منزلكم إلى يوم القيامة، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه.﴾[330]

أيها الناس: جعل الله تعالى القبر برزخًا بين الدنيا والآخرة، فهو انقطاع عن الأولى وإقبال على الأخرى، وهو مشترك بين الدارين؛ فمكانه في الأرض وهي من الدنيا، وفترة بقاء الميت فيه هي من زمن الدنيا أيضًا، ولكن المقبور فيه يُعامل معاملة الآخرة لا معاملة الدنيا؛ ولذا كان القبر أول منازل الآخرة.

تلك الحفرة الموحشة المظلمة أسهرت ليالي الصالحين؛ خوفاً منها، وتفكرًا فيها، ودعاء بالنجاة من عذابها.

حفرة ضيقة يُوسد الميت فيها، ثم يُهال التراب عليه فلا نفس فيها ولا فُرجة ولا ضوء ولا هواء ولا شيء معه إلا كفنه وعمله، ويبلى الكفن ويبقى العمل.

---

[330] - سورة الزلزلة، آية 7 – 8.

وآخر لمسة يظفر بها مقبور من بشر مثله هي لمسة من يوسده في لحده، وآخر نظرة تصيبه هي نظرة من يضع آخر لبنة عليه، ثم ينقطع عن البشر، فلا يبقى إلا العمل، وآخر إحساس له بالبشر في تلك اللحظات حين ينتهون من دفنه، ويتولون عنه وهو يسمع قرع نعالهم؛ كما جاء في الحديث..

يا لها من نهاية تستحق الوقوف عندها، والتفكر فيها، والعمل لها.. نهاية قد صار إليها عدد كبير من أقاربنا وأحبابنا وخاصتنا، وحتمًا سنصير إليها، وسيقف واعظ وخطيب وداعية يذكّر الناس بنا، كما ذكّرهم من قبل بغيرنا، ولكن الإنسان ينسى، والقلوب تقسو، والغفلة مطبقة.

كم من واقف على شفير قبر يتأمل الميت وهو مسجى، ويتساءل: أهو فرح بمصيره أم حزين؟ ما مصيره؟ ماذا يتمنى وماذا يريد؟ فلا يقطع تفكيره إلا صوت يقول: سلوا له الثبات، فتتحرك الألسن بالدعاء. ومن كان المقبور عزيزًا عليه، قريبًا منه؛ مكث عند قبره مليًا يلهج بالدعاء له حتى يشبع نهمته فيفارقه، فلا يجف قبر الميت من مائه وحوله أحد.. قد تفرق الجمع، وولى عنه أحب الناس إليه، فيقابل مصيره وحده، ويتحمل تبعة عمله؛ فإن خيرا فخير، وإن شرا فشر.. فاللهم أيقظ قلوبنا من الغفلة، وأزل عنها السكرة، ووفقنا للعمل الذي يجعل قبورنا روضة.

أيها المؤمنون: القبور وما يجري فيها عالم عجيب يدل على قدرة الخالق سبحانه وتعالى، وسعة ملكه، فله سبحانه عوالم أخرى غير عالمنا، لا ندركها بحواسنا ونحن أحياء، ولولا أن الله تعالى أخبرنا عن القبر وما فيه؛ لكان غيبًا لا نعلم منه شيئًا، فلا يُدرك القبر وما فيه بالبحث ولا بالتجربة ولا بالتنقيب ولا بالحساب ولا بغيرها من علوم البشر ووسائلهم.. لا يُدرك علم ما فيه إلا بالوحي، ومن لا يؤمن بالوحي لا بد أن يكذب بنعيم القبر وفتنته وعذابه.

دل القرآن في عدد من الآيات على أحوال المقبورين، وفصلَّت ذلك سنة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم؛ فكُشف لنا بالكتاب والسنة علم القبر وأحواله وأهواله، وخصت هذه الأمة بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بهذا العلم دون غيرها؛ وذلك ببركة إيمانها وتصديقها بالوحي، وإذعانها له.

وكم من مقبور في مروج وأزهار وأشجار تسر الناظرين وقبورهم بالنار مشتعلة، وأهلها يعذبون بأنواع العذاب، ولا يدرك من حولهم ذلك ولا يحسونه؟

وكم من قبور في خربات ومستنقعات القذر والأذى، وهي من رياض الجنة، وريحها من ريح الجنة، وأهلها منعمون.. وكم من قبور يكسوها الجليد، ويحيط بها الصقيع، وهي نار تلظى على أهلها.. وكم من قبور في رمضاء حامية، أو تحت تنور يشعل كل يوم نارا، وأهلها منعمون لا يحسون بشيء منها، وتلك قدرة العليم القدير، الذي قلب حرارة النار بردا وسلاما على إبراهيم.

إن تذكر القبر وأحواله، وزيارة القبور بين حين وآخر؛ حتم لازم لمن أراد حياة قلبه، وخشوعه في عبادته، وبناء آخرته.

أيها الكاره للموت: تجهز إلى الأجداث ويحك والرمس *** جهازاً من التقوى لطول ما حبس

فإنك ما تدري إذا كنت مصبحاً *** بأحسن ما ترجو لعلك لا تمسي

يا أيُّها المتسَمِّنُ *** قل لي لمن تتسمَّن ؟

سَمَّنتَ نفسَك للبِلى *** وبطنت يا مستبطن

وأسأت كل إساءة *** وظننت أنك تحسن!

مالي رأيتك تطمئن **** إلى الحياة وتركن!

يا سكن الحجرات ما *** لك غير قبرك مسكن

اليوم أنت مكاثر *** ومفاخر تتزين

وغداً تصير إلى القبور *** محنط ومكفن!

أحدث لربك توبة *** فسبيلها لك ممكن

واصرف هواك لخوفه *** مما تسر وتعلن

****

أرى أهل القصور إذا أميتــوا *** بنوا فوق المقابر بالصخور

أبوا إلا مباهاة وفخـــــراً *** على الفقراء حتى في القبور

لعمرك لو كشقت التـرب عنهم *** فما تدري الغنـي من الفقـير

ولا الجلد المباشر ثوب صـوف *** من الجلد المباشر للـحرير

إذا أكل الثرى هـــذا وهذا *** فما فضل الغني على الفقير؟

*فيا إخوتاه ! ألا تبكون من الموت وسكرته ؟

*ويا إخوتاه ! ألا تبكون من القبر وضمته ؟

*ويا أخوتاه ! ألا تبكون خوفاً من النار في القيامة ؟

*ويا إخوتاه ! ألا تبكون خوفاً من العطش يوم الحسرة والندامة ؟

****

أأيتها المقابر فيك *** من كنَّا ننازله

ومن كنا نتاجره *** ومن كنا نعامله

ومن كنا نعاشره *** ومن كنا نطاوله

ومن كنا نشاربه *** ومن كنا نؤاكله

ومن كنا له إلفا *** قليلاً ما نزايله

ومن كنا له بالأمس *** أحيانا نواصله

فحل محله من حلها *** صرمت حبائله

ألا إن المنية منهل *** والخلق ناهله

****

ما للمقابر لا تجيب *** إذا دعاهن الكئيب

حفر مسقفة عليهن *** الجنادل والكثيب

فيهن ولدان وأطفال *** وشبان وشيب

كم من حبيب لم تكن *** نفسي بفرقته تطيب

غادرته في بعضهن *** مجندلاً وهو الحبيب

وسلوت عنه وإنما *** عهدي برؤيته قريب

إخواني:

كم من ظالم تعدى وجار، فما راعي الأهل ولا الجار، بينا هو عقد الإصرار، حل به الموت فحل من حلته الأزرار (فاعتبروا يا أولي الأبصار).

ما صحبه سوى الكفن، إلى بيت البلى والعفن، ولو رأيته وقد حلت به المحن ، وشين ذلك الوجه الحسن، فلا تسأل كيف صار (فاعتبروا يا أولي الأبصار).

أين مجالسة العالية؟ أين عيشته الصافية؟ أين لذاته الخالية؟ كم كم تسفى على قبره سافية !! ذهبت العين وأخفيت الآثار (فاعتبروا يا أولي الأبصار).

تقطعت به جميع الأسباب، وهجره القرناء والأتراب، وصار فراشه الجندل والتراب، وربما فتح له في اللحد باب إلى النار (فاعتبروا يا أولي الأبصر).

نادم بلا شك ولا خفا، باك على ما زل وهفا، يود أن صافي اللذات ما صفا، وعلم انه كان يبني على شفا جرف هار (فاعتبروا يا أولي الأبصار).

فاللهم يا من لا تراه في الدنيا العيون، ولا تُخالِطه الظنون، ولا يصِفه الواصفون، يا من قَدَّر الدهور، ودبَّر الأمور، وعلِم هواجس الصدور! يا من عزَّ فارتفع! وذلَّ كلُّ شيء له فخضع، وجهك أكرم الوجوه، وجاهُك أعظم الجاه، وعطيّتك أعظم العطية، تجيب المضطرَّ، وتكشف الضرَّ، وتغفر الذنب، وتقبل التوب، لا إله إلا أنت، استعملنا في طاعتك، ووفقنا لعبادتك، وأحينا بمعرفتك، واختم بالصالحات أعمارنا، وحقِّق آمالنا، وأصلح أعمالنا، برحمتك يا أرحم الراحمين، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين.

كما وردت مجموعة من الخطب على القبور في كتاب إتحاف السادة المتقين وهي على النحو الآتي:

- قال الضحاك قال رجل : يا رسول الله من أزهد الناس ؟ قال : من لم ينس القبر والبلى ، وترك فضل زينة الدنيا ، وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من أيامه ، وعد نفسه من أهل القبور وقيل لعلي ، كرم الله وجهه : ما شأنك جاورت المقبرة ؟ قال إني أجدهم خير جيران أجدهم جيران صدق يكفون الألسنة ويذكرون الآخرة.

- وقال رسول الله (ﷺ): "ما رأيت منظرا إلا والقبر أفظع منه" .
- وقال عمر بن الخطاب، _رضي الله عنه_: خرجنا مع رسول الله (ﷺ)، إلى المقابر فجلس إلى قبر، وكنت أدنى القوم منه فبكى وبكيت، وبكوا فقال ما يبكيكم قلنا بكينا لبكائك، قال: هذا قبر أمي آمنة بنت وهب استأذنت ربي في زيارتها فإذن لي فاستأذنته أن استغفر لها فأبى علي فأدركني ما يدرك الولد من الرقة.
- وكان عثمان بن عفان _رضي الله عنه_ إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته. فسئل عن ذلك وقيل له : تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي إذا وقفت على قبر ، فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن القبر أول منازل الآخرة ، فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد.
- وقيل: إن عمرو بن العاص نظر إلى المقبرة فنزل وصلى ركعتين فقيل له : هذا شيء لم تكن تصنعه فقال ذكرت أهل القبور وما حيل بينهم وبينه فأحببت أن أتقرب إلى الله بهما.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

1. آبادي، أبي عبد الرحمن شرف الحق محمد أشرف الصديق العظيم، عون المعبود شرح سنن أبي داود وهو مختصر غاية المقصود في حل سنن أبي داود، ج8، ط2، دار الفيحاء، ودار المنهل للنشر، دمشق، 2013.
2. ابن أبي الدنيا، أبي بكر عبد الله بن محمد، كتاب المحتضرين، ط1، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، 1997.
3. ابن الأثير، مجد الدين بن محمد الجزدي، النهاية في غريب الحديث والأثر، م3، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، إدارة الشؤون الإسلامية، قطر.
4. ابن الملقن، سراج الدين أبي حفص عمر بن أبي الحسن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، م4، ط1، دار النوادر للطباعة، سوريا، 2008.
5. ابن حجر العسقلاني، أبي الفضل أحمد بن علي، الإصابة في تمييز الصحابة، ط1، م4، 2008، القاهرة.
6. ابن ماجة، سنن ابن ماجة، كتاب الجهاد، باب فضل الرباط في سبيل الله، م2.
7. ابن منظور، محمد بن مكرم، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ج15، ط1، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، 1984.
8. أبو أحمد، ندا، الدار الآخرة سكرات الموت ولحظة خروج الروح.

9. الأصبهاني، أبي نعيم، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج2، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

10. الأصفهاني، أبي نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج2، مكتبة الخانجي، القاهرة، ودار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1996.

11. الألباني، أبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، صحيح الألباني، ط1، دار الخلفاء الراشدين، ودار الفتح الإسلامي للطباعة والنشر، الاسكندرية، 2022.

12. البخاري، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن ابراهيم الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من امور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه الشهير بصحيح البخاري، م1، جمعية البشرى الخيرية للخدمات الإنسانية والتعليمية، كتاب الرقاق، باب التواضع، 2016.

13. البركوي، محيي الدين محمد، زيارة القبور الشرعية والشركية، ط6، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، للنشر، السعودية، 2012.

14. البغدادي، ابن أبي الدنيا، أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد، ذكر الموت، ط1، مكتبة الفرقان، عجمان، 2002.

15. بن تيمية، أحمد عبد الحليم بن عبد السلام، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ج2، مكتبة الرشد، الرياض.

16. بن كثير، أبي الفداء إسماعيل، البداية والنهاية مبدأ الخليقة وقصص الأنبياء، ج9، طبعة وزارة الأوقان والشؤون الإسلامية، قطر، 2015.

17. بن محمد، أبي بكر عبد الله، كتاب المحتضرين، ط1، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1997.
18. البهيقي، أبي بكر أحمد بن الحسين، إثبات عذاب القبر، ط1، دار الفرقان، 1983.
19. الترمذي، أبواب الجنائز، عن رسول الله (ﷺ) باب ما جاء في الرخصة في البكاء على الميت، م3.
20. الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر.
21. الترمذي، سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب 26 (236/4).
22. الجراحي، إسماعيل بن محمد العجلوني، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
23. الجعفي، أبي عبد لله محمد بن اسماعيل بن إبراهيم البخاري، صحيح البخاري، م1، جمعية البشرى الخيرية للخدمات الإنسانية والتعليمية، 2016.
24. الجميلي، السيد، أحوال الموتى وسؤال الملكين في القبر، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.
25. الجوزية، ابن قيم، الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء، ط1، منشورات دار ابن تيمية للنشر والتوزيع والإعلام، الرياض، 1986.
26. الجوزية، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن القيم، كتاب الروح، آثار الإمام ابن القيم الجوزية وما لحقها من أعمال، م1، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.
27. الحراني، تقي الدين أحمد بن تيمية، مجموع الفتاوي، م7، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة.

28. حسن، الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، سنن الترمذي، ج2، كتاب الزهد.

29. حسن، الحنبلي، عبد القادر بن بدران الدومي، شرح كتاب الشبهات في الحِكَم والمواعظ والآداب، ترجمة: القاضي صاحب الشهاب، القسم الثاني النصر المحقق.

30. الحكمي، حافظ بن أحمد، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، ج2، دار ابن خلدون، الاسكندرية، 2007.

31. الحكيم الترمذي، محمد بن علي بن الحسن أبو عبد الله الحكيم الترمذي، نوادر الأصول في أحاديث الرسول(ﷺ)، دار الجيل، بيرزت، ط1، 1992، م4.

32. الحنبلي، موفق الدين أبو محمد عبد الله بن قدامة المقدسي، المغني، ج3.

33. الحنفي، صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العِزّ، شرح العقيدة الطحاوية، للطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة، ط1، دار ابن رجب للنشر، مصر، 2002.

34. خليفة، محمد عبد الظاهر، الحياة البرزخية من الموت إلى البعث، دار الاعتصام.

35. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، م1، مؤسسة الرسالة للنشر.

36. الزهري، محمد بن سعد بت منيع، كتاب الطبقات الكبير، ج4، ط1، مكتبة الخانجي للنشر، القاهرة، 2001.

37. السجستاني، أبي داود سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1996.

38. السيوطي، جلال الدين بن أبي بكر، الجامع الصغير في أحاديث البشير، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004.

39. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، جدة، 1985.

40. السيوطي، جلال الدين، سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، وحاشية الإمام السندي، دار المعرفة.

41. شمس الدين السرخسي، المبسوط، م1، دار المعرفة، بيروت.

42. صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب عذاب القبر من الغيبة والبول، م2.

43. صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه، م2.

44. الصنعاني، أبي بكر عبد الرزاق بن همام، المصنف، م3، من منشورات المجلس العلمي.

45. الطبراني، أبي القاسم سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، مكتبة ابن تيمية للنشر، القاهرة.

46. عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج4. ط2، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

47. العراقي، زين الدين أبي الفضل، إحياء علوم الدين، ط1، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2005.

48. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري،ط1، م4، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 2005.

49. العسقلاني، الحافظ أحمد بن علي بن حجر، تقريب التهذيب، دار العاصمة للنشر والتوزيع.

50. العوايشة، حسين، القبر – عذاب ونعيمه، سلسلة بداية السلكين لمن أراد التمسك بهذا الدينن 3، مكتبة التوعية الإسلامية، الجيزة، المكتبة الاسلامية، عمان، الأردن، 1984.

51. العيني، أبي محمد محمود بن أحمد، البناية في شرح الهداية، م1، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1980.

52. الغزالي، أبي حامد محمد بن محمد ومعه المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار للعلامة زين الدين بن أبي الفضل العراقي، إحياء علوم الدين، ج4، ط1، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2005.

53. الغزالي، أبي حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، ج4، دار المعرفة، بيروت، 1982.

54. الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، ط1، م2، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.

55. الفروع، حواشي الشرواني، وابن قاسم العبادي، على تحفة المحتاج بشرح المنهاج، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، 1416.

56. فني الرواية والدراية من علم التفسير، ط4، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 2007.

57. القرطبي، أبي عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ط1، دار المناهج للنشر والتوزيع، السعودية، الرياض، 1425.

58. القرطبي، أبي عمر عبد البر النمري، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد في حديث رسول الله (ﷺ)، م22، ط1، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي – مركز دراسات المخطوطات الإسلامية، 2017.

59. القزويني، أبي عبد الله محمد بن يزيد، صحيح سنن ابن ماجة، الزهد باب ذكر القبر، ط1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، 1997.

60. المباركفوي، محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم، تحفة الأحوذي، باب منه، ج7.

61. المبرد، أبي العباس محمد بن يزيد، التعازي والمراثي والمواعظ والوصايا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996.

62. المتقي الهندي، علي بن حسام الدين، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، مؤسسة الرسالة، بيروت.

63. محمود المصري، أبو عمار، رحلة إلى الدار الآخرة، ج2، ط1، مكتبة الصفا للنشر والتوزيع، القاهرة، 2005.

64. المروزي، عبد الله بن المبارك، الزهد والرقاق، ط1، دار المعارج الدولية للنشر، الرياض، 1995.

65. مسائل الإمام أحمد رواية ابنه عبد الله، ط3، دار المودة للنشر والإنتاج الإعلامي، ودار التأصيل للنشر والتوزيع، مصر، المنصورة، 2008.

66. مسائل الإمام أحمد للإمام أبي داود، دار المعرفة للنشر، بيروت.

67. مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرباط في سبيل الله، م3.

68. مسند الإمام أحمد بن حنبل، دار الكتب العلمية، بيروت، م6.

69. المليباري، زين الدين بن علي بن أحمد المعبري، الاستعداد للموت وسؤال القبر، دار ابن خلدون للنشر والتوزيع، الاسكندرية.

70. المناوي، محمد عبد الرؤوف، فيض القدير شرح الجامع الصغير، م5، ط3، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

71. النسائي، سنن النسائي، كتاب الجنائز، باب ضمة القبر وضغطته.

72. النووي، أبو زكريا محيي الدين بن شرف، شرح النووي على مسلم، ج18.

73. النووي، محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف، الأذكار من كلام سيد الأبرار المسمى حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار المستحبة في الليل والنهار، ط1، دار المناهج للنشر والتوزيع، جدة، 2005.

74. النيسابوري، أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، ط1، ج1، دار إحياء الكتب العربية للطباعة، ودار الكتب العلمية للتوزيع، بيروت، لبنان، 1991.

75. النيسابوري، أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ج2، ط1، دار الرسالة العالمية للنشر، 2018.

76. الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، كشف الأستار عن زوائد البزّار على الكتب الستة، ط1، ج4، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985.





- ❖ كتاب العقيقة – الأضحية والنذر.
- ❖ كتاب الشفاعة.
- ❖ يوم الآزفة.
- ❖ رواية رسائل من السماء (قيد الإعداد).
- ❖ المعاني النقية في الأربعين النووية (قيد الإعداد).
- ❖ من وحي الإيمان من القرآن والسنّة (دروس وعبر).
- ❖ بعض الآثارٌ المندثرة داخل أسوار القدس. (البلدة القديمة)



